جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

مطبوعة خاصة بمقياس

الحملة الفرنسة على الجزائر

دروس موجهة لطلبة السنة اولى ماستر
تخصص مقاومة وحركة وطنية
السداسي الاول

اعداد الدكتور: حليس عبد القادر

السنة الجامعية: 2023 ـ 2024.

المدخل:

مر الحكم الفرنســـي في الجزائر بمرحلتين امتدت الأولى من 1830 إلى 1870، وعُرفت بمرحلة الحكم العســكري، اســتعمل الاحتلال أســلوب القوة والقمع، هادفا من وراء ذلك محو جميع معالم الدولة الجزائرية. وانتهج في ذلك ســياســة الإبادة الجماعية والأرض المحروقة، التي رســم معالمها قادة عسكريون كبار تخرجوا من أكاديميات عسكرية شهيرة "سان سير (Saint-cyr) "أمثال بيليسي (Pellissier) وبيجو وغيرهم، وقد استهدفوا إرساء الوجود الفرنسي والقضاء على أية مقاومة أو معارضة.

قامت الجمهورية في ظل ظروف اتسمت بالاضطراب والتدهور سواء داخل فرنسا أو في مستعمراتها هذه الظروف حيث أنها ولدت في ظل الخلافات الموروثة عن السنوات المضطربة التي أعقبت الثورة الفرنسية التي حدثت سنة 1789م .. بعد فشل الانتخابات التشريعية الفرنسية سنة 1869م حيث كانت 40% من الأصوات لصالح المعارضين الليبراليين فعادت الإمبراطورية بشكل أقوى وبدأ الجمهوريون التعود على فكرة ديمومة الإمبراطورية إلا أن الهزيمة العسكرية غير المتوقعة لنابليون الثالث في حربه ضد بروسيا غيرت من الموزاين.

هذه الهزيمة جاءت في ظل تدريب الجنود الألمان وإعدادهم بصـــورة دائمة للحرب كما أن ألمانيا منذ سنة 1867م وهي تدرس إمكانية وقوع حربا قريبة مع فرنسا فوضعت الخطط و درست تفاصيلها وحضرت كل أسباب النجاح فقد درست أوضاع الجيش الفرنسي وعرفت إمكانياته ومواطن قوته وضعفه وأخذت التدابير اللازمة للاستفادة التامة من الوسائل الحديثة كالتلغراف وسكك الحديد أما الجيش الفرنسي فعلى الرغم من أنه كان ذائع الصيت وله سمعة كبيرة وحسنة في أوروبا إلا أنه كان يفتقد للقيادة الحازمة والســلاح والمؤون والمواصــلات الســريعة وبســرعة كبيرة قبل أن يكمل الفرنسيون تعبئة جيوشهم تقدمت الجيوش البروسية نحو الأراضي الفرنسية ناقلة المعركة إلى أرض أعدائها وبعد يومين فقط من عبور الجيوش البروسية للأراضي الفرنسية

الحملة الفرنسية على الجزائر:

لقد شهدت اوضاع الجزائر قبيل الاحتلال وبالتحديد خلال الفترة بين 1800 _1830 تدهورا كبيرا في جميع المجالات (سياسية، عسكرية، اقتصادية، .....) و يرجع هذا التدهور الى عدة عوامل داخلية وخارجية، استغلتها فرنسا لاحتلال الجزائر[1] ، تتمثل هذه الاوضاع في مايلي :

واقع الجزائر قبيل الحملة الفرنسية:

الواقع السياسي:

ا- داخليا:

يعتبر القرن السابع عشر القرن الذهبي للجزائر، كما يتفق على ذلك الباحثون والمختصون في تاريخ الجزائر الحديث، ويعود الفضل في ذلك الى طائفة الرياس التي ادت دورًا مزدوجًا[2]: من ناحية، دعمت الاقتصاد من خلال النشاط البحري، ومن ناحية اخرى، تصدت للاعتداءات الخارجية التي كانت تشنها الدول الاوروبية. ومع ذلك، بدا وضع الجزائر يتدهور مع نهاية القرن الثامن عشر، حيث تزايدت عوامل الضعف، مما ادى الى تدهور الاوضاع السياسية وعجز الحكام عن مواكبة التطورات السريعة التي حدثت على الصعيدين الداخلي والخارجي. [3]

ترتبط اخفاقات الحكام في الجزائر خلال مرحلة الدايات بعوامل داخلية وخارجية. فقد تجسدت العوامل الداخلية في سياسة تطوير المؤسسة العسكرية من حيث قوانين التجنيد المتبعة، حيث كانت المؤسسة العسكرية في حاجة الى تجنيد لتقوية صفوفها، مما دفع السلطة الحاكمة الى ارسال وفد

---

[1] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره دار الكتاب العربي الجزائر 2011 ص 37.

[2] الرياس، هم مجموعة من رجال البحر ذوي الحنكة والخبرة في فنون الملاحة.

[3] صالح عقاد المغرب العربي دراسة في التاريخ الحديث ومشاكله المعاصرة مكتبة الأنجلو المصرية الجزائر سنة 1962 م ص 31.

الى الدولة العثمانية لتجنيدهم. لكن هذا الوفد لم يتبع الاساليب المناسبة، كما اشار حمدان خوجة الذي عاش في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني.

واوضح ان سياسة التجنيد كانت سببًا رئيسيًا في تدهور البلاد، اذ بدلا من اتباع الطريقة التقليدية التي كانت تقتصر على الرجال النزهاء ذوي الجاه والمكانة، تم فتح باب التجنيد لاي شخص، حتى لمن ادينوا وسجنوا وأصبحوا مصدر للفوضى والفساد داخل الجيش وقد تمكن هؤلاء من السيطرة على الحكم وتسيير شؤون البلاد وفق اهوائهم، وعزل الحكام لتحقيق مصالحهم الشخصية. وصارت تلك الميليشيات المسلحة التي لا مبدا لها ترتكب المخالفات في حق البدو والقبائل "

هذه الظروف سمحت لعدد من الدايات، الذين فقدوا القدرة و السيطرة على وضع حد لتجاوزات الجنود، بتولي الحكم. [1]

نتيجة لذلك حدثت عدة اغتيالات كان اولها اغتيال الداي مصطفى عام 1805م بسبب تعاطفه مع التجار اليهود ، ثم لحقه الداي احمد خوجة[2] . فكلما تم تعيين حاكم جديد تبعه تغيير جذري في سلك الوزراء و البايات و الموظفين، اذ يقوم الحاكم بتعيين العناصر التي وقفت معه اثناء الانقلاب[3]

تأثرت الادارة المحلية بشكل كبير بما يحدث في الادارة المركزية، اذ كان كل باي جديد يُعين في البايلك يقوم بفصل الموظفين السابقين لعدم ثقته فيهم، ولتعيين موظفين موالين له.

اضافة الى ذلك، كان هناك رغبة من الباي في الحصول على رشاوى مقابل التوظيف، هذه السياسة الفاسدة ادت الى عدم استقرار في تسيير المؤسسات والادارات المحلية، وعندما يتلقى الداي

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ،تق وتع محمد العربي الزبيري منشورات ANEP 2005 م ص 149.

[2] نفسه ص 146-152 .

[3] DE TASSY ، histoire du royaume d'ALGERIE HENRI DU SOUZET AMSTERDAM 1725 P233.

شــكاوى متكررة عن باي معين، فانه غالبًا ما يقوم بنقله الى منطقة اخرى بدلا من عزله، كما حدث مع الباي عثمان المســؤول عن بايلك الغرب في عام 1798، قال عنه الزياني :" لم يلفت لما كلفه الله من امور الرعية بل جعل ذلك نسيا منسيا"[1]، فرغم تصرفاته الطائشة عين مرة اخرى على بايلك الشرق عام 1804 م وبقي في الحكم الى ان لقي مصرعه في احدى المعارك ضد ابن الاحرش . ايضا نجد ان الموظفين و القادة الذين وجب تقديرهم ومكافئتهم يعزلون او يقتلون ، وهذا ما حدث ليحي اغا، الذي كان قائدا بارعا في عهد الداي حسين (1818-1830م) لكنه ذهب ضحية مؤامرة اعدها اعدائه مما جعل الداي يضطر لإصدار امر بقتله .

رغم هذا التدهور الا ان الفترة الاخيرة من العهد العثماني شـــهدت وجود بعض الدايات الذين كانوا يمتلكون الكفاءة العالية والقدرة على تســيير شــؤون البلاد ، من بين هؤلاء الدايات نجد علي خوجة (1817-1818م) ، الذي عمل على اعادة هيبة الجزائر و ادرك ان فساد الجيش سبب في تدهور الاوضـاع ، فقام بتعيين جواسيس بين الجنود لينقلوا له الاخبار و يحذروه من المؤامرات، و نتيجة لذلك قام بقتل الكثير من الخونة و نفى بعضـــهم[2]، و اعتمد على جيش من الجزائريين و الكراغلة[3] بدل من الانكشاريين[4] ، لكنه توفي قبل تحقيق اهدافه بسبب الطاعون بعد ستة اشهر من توليه الحكم.

ان السياسة المحكمة لعلي خوجة مكنته من تحقيق ما لم يحققه اسلافه في الحكم فقد نقل مقر الحكم من الجنينية في اسـفل المدينة الى القصـبة التي تسـيّر المدينة كما تمكن من القضـاء على

---

[1] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران تق وتع المهدي بوعبدلي د. س ص 206.

[2] الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف زهار، تق أحمد توفيق المدني، ش و ن ت 1974 م ص 136.

[3] الكراغلة ، هم المولودون من أب تركي و أم جزائرية .

[4] الانكشاريين ، الجنود الجدد وهي قوات مشاة وفرسان من النخبة بالجيش العثماني .

جزء كبير من قوة الانكشـــارية ، وقد حاول الانكســـاريون اغتياله فاســـتمال اهل البلاد و العبيد و الزواوة و تحصـــن في القصـــبة لذلك لم يطله اذى منهم[1] . بالإضـــافة الى انه اســـتطاع التأثير في نفوس السكان و حصل على دعمهم ومساعدتهم كلما احتاجهم[2] . و هكذا فقد تمكن من وضع اسس جديدة من اجل التطور و الاصـــــلاح ، و اعتبر تحويل مقر الحكم الى القصـــــبة تحولا كبيرا في السياسة الجزائرية[3] . قبل وفاته ترك وصية تنص على ان يتولى حسين باشا **(الملحق 1)** الحكم من بعده، هذا الاخير كان يشغل منصب خوجة الخيل مما يدل على انه كان يثق فيه و بقدرته ، يقول الزهار : " ان ابن مالك صـهر على خوجة اخبر اعضـاء حكومة المرحوم انه وصـى الولاية لحسين باشـا ". لكن ما ورد في رسـالة الداي حسـين للباب العالي ينفي كل الاعمال الصـالحة التي قام بها علي خوجة مما يطرح عدة تساؤلات. ما هو هدف الداي حسين من الاساءة لعلي خوجة؟

الاكيد هو ان الداي حســـين انتهج نفس ســـياســـة علي خوجة و ذلك بالاســـتنجاد بالجزائريين و الكراغلة و تعيين الحاج احمد بايا على قسـنطينة رغم انه من الكراغلة، و هذا دليل على دهاء الداي حسـين لأنه كان يعلم ان والدة الحاج احمد من اسـرة بن قانة الواسـعة النفوذ في جنوب قسـنطينة و بسـكرة، فاراد كســب دعمهم و رغم ذلك لم يســلم الداي من محاولة الاغتيال فقد تعرض لمحاولتي اغتيال، ما جعله يصـدر الاوامر من داخل اسـوار القصـبة و اختار حراسـه من الجزائريين و دعمهم بفرقة انكشـارية جديدة جندها من الولايات العثمانية المشـرقية . تمكن الداي حسـين من تولي الحكم لمدة 12 سنة بفضل هذه السياسة المنتهجة الى ان تم احتلال الجزائر سنة 1830م .

ب- خارجيا:

---

[1] الشريف زهار،المصدر السابق ص 136 .

[2] اسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دولة البحار ج 1 المطبعة الميرية ط 1 مصر 1314 هـ ص 372 .

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 3 مكتبة النهضة الجزائرية د س ص ص 265- 264 .

لقد كانت للعوامل الخارجية اثرا كبيرا في تدهور الاوضـــاع العامة للجزائر ولعلى من بين هذه العوامل الحروب المتكررة بين الجزائر وتونس و المغرب الاقصـــى، نتيجة الصـــراع التقليدي منذ العصور. ان سبب هذا الصراع هو قضية الحدود بالدرجة الاولى اذ كانت حدود الدول الثلاث غير مســـتقرة قبل مجيئ العثمانيين، لكن بمجرد دخولهم للجزائر رســـموا الحدود النهائية بين الجزائر و جارتيها و رغم ذلك لم يضع هذا حدا للصراع بين دول المغرب العربي.

حاولت تونس الاســـتيلاء على منطقة قســـنطينة و عنابة و القالة وكان رد الجزائر قويا حيث شنت عدة حملات ضد تونس لتتدخل الدولة العثمانية في عدة مناسبات لحل النزاع بين الطرفين لكن دون جدوى ، ارسل الداي عمر سنة 1815م رسالة للسلطان العثماني محمود الثاني اكد فيها ان الهدف من شـــن الجزائر لحملاتها ليس احتلال تونس او الاعتداء على شـــعبها بل كانت الجزائر تطالب تونس باحترام المعاهدات المبرمة بينهما وهذا ما اكده حمدان خوجة بقوله : " لم يتسببوا ابدا في قلب النظام الاجتماعي وانما كانوا يغادرون البلاد بعد ابرام المعاهدات مباشـرة "[1]. ان نار الفتنة بقيت مشـتعلة بين الجزائر و تونس[2] رغم محاولة الداي علي لإخمادها ، ففي سـنة 1817م ارسـل مبعوثين الى باي تونس لمحاولة التوصـل الى الصـلح بين البلدين لكن الحكومة التونسـية عارضـت الصـلح و بقي الحال كذلك الى عام 1821م حيث تدخلت الدولة العثمانية و وضـعت حد للصـراع بين البلدين ، يقول الزهار : " **و لما وصلت الفرمات والرسل لأميري البلدين عندئذ تم الصلح و فرح جميع المسلمين و استبشروا بإطفاء هذه الفتنة** "[3].

اما عن العلاقات الجزائرية المغربية فقد كانت تختلف عن نظيرتها التونســـية فمعظم الحملات التي كانت تقوم بها المغرب في اطار الســياســة التوســعية التي انتهجها مولاي اســماعيل ســلطان

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة المصدر السابق ص 113-114 .

[2] لمزيد من التفاصيل أنظر الشيخ الحاج أحمد المبارك، تاريخ قسنطينة تع نورالدين عبدالقادر ص 15-16 .

[3] الشريف الزهار، المصدر السابق ص 147

المغرب على حساب الاراضي الجزائرية، فشن هذا الاخير عدة حملات ضد الجزائر (حملة 1678م–حملة 1686م) ، هذه الحملات لم تتوقف الا بعد تدخل الدولة العثمانية سنة 1701 م

اتخذت الاعتداءات المغربية شكلا مغايرا في مطلع القرن 19 تمثل في تدعيم الطرقيين الدرقاويين الذين ثاروا ضد سياسة الحكم آنذاك .

بالإضافة الى صراع الجزائر ضد كل من تونس والمغرب كانت هناك حملات من الدول الاوروبية على الجزائر قامت بها اسبانيا، البرتغال، فرنسا، هولندا، انجلترا و غيرهم . تمكنت الجزائر من التصدي لهذه الحملات رغم قوتها و هذا بفضل الاسطول البحري القوي الذي كانت تملكه الجزائر في العهود الاولى من الحكم العثماني ، لكن بعد تدهور اوضاع البلاد عجزت الجزائر عن الصمود امام الحملات المتكررة التي تلقتها في اواخر القرن 18 و بداية القرن 19 خاصة بعد تحالف الو م ا مع الدول الاوربية مما كسر هيمنة الجزائر فاضطرت هذه الاخيرة لإبرام معاهدات سلام[1] . هذا و قد ادى الضغط الاوروبي الى عزل و اغتيال بعض الحكام و المسؤولين مما سبب اضطراب كبير في الاوضاع السياسية للبلاد ، فقد اغتيل الداي عمر سنة 1816م على يد الانكشارية و السبب ابرامهم لمعاهدة مع الاميرال الانجليزي اللورد اكسموث **EXMOUTH** بعد الحملة التي شنها ضد الجزائر[2].

مما سبق يتضح ان الجزائر كانت تقاوم على ثلاث جبهات جبهة داخلية تتمثل في سيطرة الجيش على مقاليد الحكم، و جبهة اقليمية بسبب الحدود ضد كل من تونس و المغرب ، بالإضافة الى جبهة ثالثة كانت ضد الدول الاوروبية ، هذه الاسباب انعكست سلبا على الاوضاع العامة للبلاد.

---

[1] BOYER la vie quatidienne HACHETTE PARIS 1962 P 17 .

[2] GARROT histoire génerale de l'Algerie P 637

ثانيا: الواقع العسكري.

لقد كانت المهمة الجوهرية للجنود هي الدفاع عن البلاد والمحافظة على امنها بوازع ديني، بفضل هذا الدافع الديني والتنظيم المحكم تمكنوا من تحقيق عدة انتصارات وتصدوا لجميع الغارات الاوروبية ضد الجزائر في العهود الاولى من الحكم العثماني، لكن مع مرور الزمن انحرف الجيش عن المهمة الاساسية و حل الدافع المادي مكان الدافع الديني.

كما اصبح الجنود يهتمون بالسياسة فشكلوا طبقة ممتازة في المجتمع[1] ، و اصبحوا يتحكمون في البلاد و يسيرونها حسب اغراضهم الشخصية ، فكلما حاول الداي المساس بهم او بمصالحهم او تأخر في دفع رواتبهم كان مصيره اما العزل او الاغتيال . حينما استشعر الدايات خطر الانكشاريين و فسادهم سمحوا للكراغلة و الجزائريين بالانخراط في الجيش لخلق نوع من التوازن لكن هذه الفئة كانت غير قادرة على الوصول للمراتب العليا لان عناصرها يعزلون بمجرد ارتقائهم لرتبة ضابط[2].

لقد كان الجيش الجزائري يتكون من رجال البحر (طائفة الرياس) في بداية الحكم العثماني لذلك كان هناك تطور كبير من حيث السفن وعدد الرجال ويعد خير الدين اول من وضع اسسها.

وصلت البحرية الجزائرية الى اوجّ عظمتها في القرن السابع عشر، فعملت الحكومة في هاته الفترة على الحفاظ على سفنها، فأرغمت اصحاب السفن على تعويضهم للسفن في حال فقدانهم لها و ذلك للبقاء على اتم الاستعداد لمواجهة الغارات الاوروبية[3].

في اواخر القرن 18 بدا الاسطول الجزائري يتناقص تدريجيا فوصل عدده الى 18 قطعة عام 1762م بمختلف انواعها، و كان عدد مدافعها يتروح بين 40 و50 مدفعا ، معظم هذه السفن

---

[1] GAFFAREL l'Algerie histoire conquéte et colonisation Paris 1883 P 13 .

[2] DE TASSY OP. CIT P 207

[3] أرزقي شويتام ، المرجع السابق ص 50 .

قديمة او غير مفيدة[1] ، ثم انخفض العدد الى 17 قطعة عام 1769م واستمر في النقصان الى بداية القرن التاسع عشر ، لينتعش قليلا عام 1815م و ذلك راجع للمعاهدات التي ابرمتها الجزائر مع الدول الاوروبية . لكن تقرير القنصل الفرنسي في الجزائر ديبواتنفيل **THANVILLE** يخالف ذلك حيث يقول:" يمكننا القول ان ليس هناك في الجزائر و لا بحارا واحدا ممتازا[2]" .

عرفت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ابرز قائد بحري وهو الرايس حميدو الذي نظم البحرية و اعطاها روحا جديدة ، مما مكنه من تحقيق عدة انتصارات لكن سرعان ماتراجعت البحرية مرة اخرى و لعلى من ابرز اسباب تدهور و تراجع الجيش البحري الجزائري مايلي :

- تدهور صناعة السفن نتيجة القرار الذي صدره الداي مصطفى عام 1799م الذي ينص على السماح لليهود ان بكري وبوشناق باستغلال الغابات الواقعة بين بجاية والقل واللذان بدورهما قاما ببيع الاخشاب لإنجلترا التي طورت سفنها.
- فقدان الاسطول البحري لعدة سفن اثناه معاركه ضد الدول الاوربية وتفاقم الوضع نتيجة الحملة الامريكية عام 1815 م والحملة الانجليزية عام 1816 م[3] ، لتاتي بعدها معركة نافرين عام 1827م والتي قضت نهائيا على الاسطول البحري .
- التنافس بين القوتين العسكريتين البحرية والبرية مما ادى الى عدم استقرار الحكم .
- الانكشارية و تغير اوضاعهم الاجتماعية فبعد ان كانوا عزابا وهبوا حياتهم لخدمة الوطن سمح لهم بالزواج ، فارتبطوا اكثر باسرهم و تخلوا عن دورهم العسكري[4] .

---

[1] أبوالقاسم سعدالله، من النشاط العسكري والتجاري للجزائر في القرن 18م/12هـ المجلة المغربية س 11 ع 34 ص 195.

[2] THANVILLE ، mémoire sur Alger 1809 pub par G.ESQUER paris 1929 P 140

[3] فاطمة بن عيسى، الحملة الإنجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816م من خلال وثائق مركز الأرشيف الوطني الجزائري ووثائق المكتبة الوطنية الجزائرية مجلة التاريخ المتوسطي مج 2 ع 2 2020 ص 228-248 .

[4] أرزقي شويتام ، المرجع السابق ص 53 .

- تقليص عدد المجندين من المشرق، فقد ادى تدهور الاقتصاد بالحكومة الى تقليل التجنيد من المشرق لعدم قدرتها على التكفل بدفع رواتبهم.
- تخلي الجيش الانكشاري عن هدفه الاسمى ادى في بعض الاحيان بالحكام الى عزلهم او قتلهم لتجنب الانقلابات مثلما فعلها السلطان العثماني محمود الثاني عام 1826م حيث قضى على الفرقة الانكشارية[1] .
- ايضا تراجع الجنود نتيجة الحصار الذي طبقته فرنسا والذي دام 3 سنوات.
- انتشار الاوبئة كالطاعون الذي اودى بحياة كثير من السكان من بينهم جنود[2] .

ثالثا: الواقع الاقتصادي:

ا_ الزراعة:

لقد كان الاقتصاد الجزائري يعتمد بدرجة اولى على الزراعة وذلك راجع لاتساع الاراضي وخصوبة التربة واعتدال المناخ مما سمح في تنوع الغطاء النباتي وعلى هذا يمكن تقسيم الجزائر الى ثلاث مناطق هي :

منطقة شمالية تتميز بوفرة المياه وخصوبة التربة تنتشر فيها السهول الشاسعة .

منطقة وسطى (هضاب عليا): وتتميز بالارتفاع وتنحصر بين الاطلس التلي والاطلس الصحراوي .

منطقة جنوبية : هي الاكبر مساحة عبارة عن اراضي قاحلة تغطيها الرمال فيها واحات خضراء مزروعة بالنخيل، وهذا يدل على ان لكل منطقة خصوصياتها يقول ديبواتنفيل : "مهما كانت المرتفعات التي تتخللها اراضي الجزائر فانها منتجة و من شانها ان تكون صالحة لزارعة

---

[1] BOYER OP. CIT P 98

[2] لمزيد من المعلومات أنظر ناصر الدين سعيدوني الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي مجلة الثقافة ع 92 سنة 1986 ص 101-111 .

المحاصـــيل المحلية و الاجنبية و قد جربت شـــخصـــيا زراعة القطن بضـــواحي مدينة الجزائر فكانت نتيجة جيدة [1]."

عرفت الزراعة في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني عدة صعوبات مما عرقل نموها وتطورها رغم الامكانيات الهائلة التي كانت تتمتع بها لتشهد تدهوا كبيرا ، وذلك راجع الى :

- **السياسة الضريبة** : فانخفاض موارد البلاد ادى بالحكام الى رفع قيمة الضرائب المفروضة على الفلاحين وذلك من اجل تعويض ما فقدته الدولة من القطاعات الاخرى ، لكن عجز هؤلاء الفلاحين عن دفع الضـرائب جعلهم يتخلون عن اراضـيهم الزراعية لينسـحبوا للجبال و الصـحاري ." و قد ادى هذا الوضـع الى انتشـار الفقر في اراضـي كانت من اغنى واخصـب الاراضي واصبحت مهجورة وجرداء "[2].
- **الثورات وحركات التمرد الداخلية** : ان الثورات وحركات التمرد التي شـــهدتها الجزائر مطلع القرن التاسـع عشـر [3] الحقت اضـرار جسـيمة بالأراضـي الزراعية و ارغمت الفلاحين على وقف نشاطهم لعدم توفر الامن في المناطق الريفية.

-**الكوارث الطبيعية**: تدهور القطاع الزراعي جاء ايضـــا بسـبب الكوارث الطبيعية كالزلازل التي خلفت خســـائر مادية و بشـــرية كزلزال وهران 1790 م، عنابة 1815م، الجزائر 1818م، و البليدة و متيجة 1825 م.

بالإضـافة للزلازل مرت الجزائر بفترات من الجفاف و زحف الجراد مما تسـبب في المجاعات كما ان هذه العوامل ادت الى ارتفاع اسـعار المواد الغذائية في السـوق ، و انتشـار الطاعون تسبب في هلاك عدد كبير من السكان مما ادى الى نقص اليد العاملة ، يقول سـعيدوني : " لقد ادى وباء عامي 1817 – 1818 م الى هلاك ثلثي ســـكان مدينة عنابة التي لم يتجاوز

---

[1] THANVILLE OP. CIT P 144

[2] بالحميسي ، سياسة الضرائب بالجزائر ص 209 .

[3] أرزقي شويتام ، المرجع السابق ط 1 دار الكتاب العربي الجزائر ص 89-109 .

عدد سكانها بسبب هذا الوباء بخمسة الاف نسمة ، كما تضررت اغلب الجهات الجبلية و الصحراوية "[1]

ب_ الصناعة:

لقد اشتهرت الصناعة التقليدية في الجزائر خلال العهد العثماني، فكانت تستمد مادتها الاولية من الانتاج الزراعي والحيواني مما جعل صناعتها متنوعة، كان جزء من هذه الصناعة موجه للاستهلاك المحلي والجزء الاخر للتصدير خارجيا.

من بين هذه الصناعات صناعة النسيج لوفرة الصوف والحرير وكانت المدن الجزائرية تنتج الزرابي والبرانس واختصت قسنطينة بنسيج الحياك بالإضافة الى منتوجات اخرى كصناعة الاحزمة والمناديل وغيرها.

كانت جودة هذه المنتوجات افضل بكثير من المنتوجات الفرنسية والايطالية، وعرفت الجزائر ايضا صناعة الجلود التي تصنع منها الاحذية والسروج وغيرها.

اما تلمسان فقد اختصوا بالحلي الذهبية. مارس المجتمع الجزائري كل الصناعات المعروفة كصناعة الفخار، الحدادة ، النجارة، الاسلحة ، صنع السفن ، وسك النقود[2] .

هذه الصناعات كان لها طابع تقليدي ولم تقم الدولة بتطويرها والنهوض بها ذلك لان الصناعة تعرضت لعوامل عرقلت تطورها شانها شان الزراعة كما اشرنا سابقا .

تدهور القطاع الزراعي انعكس سلبا على القطاع الصناعي فندرة المواد الاولية وصعوبة الحصول عليها ادى الى ارتفاع اسعار المصنوعات بسبب قلة الانتاج[3] ، بالإضافة الى الضرائب الباهظة التي كان يدفعها الصناع على مصنوعاتهم و ايضا من بين العوامل التي اضعفت

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي ص 105 .

[2] يحي بوعزيز ، الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19 م مجلة الثقافة ع 80 السنة 1984 م ص 169 .

[3] ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي ص 37 .

الصـناعة اسـتيراد المصـنوعات الاجنبية التي نافسـت مثيلتها المحلية في الفترة الاخيرة من العهد العثماني .

ج _ التجارة:

كان النشـــاط التجاري للجزائر خلال العهود الاولى من الحكم العثماني كبيرا و واســعا حتى اصـــبح من الدعائم الرئيســية للاقتصـــاد الجزائري وذلك راجع الى تنوع المنتوجات الزراعية والصناعية ، فانتشرت المحلات التجارية و الاسواق عبر مختلف المدن الساحلية والداخلية ، وقد انقســمت التجارة الى قســمين : تجارة داخلية قام بها الجزائريين والســكان المحليين ، و تجارة خارجية مارسها الاجانب و بعض الجزائريين[1]. في الفترة الاولى من الحكم العثماني شهدت التجارة الداخلية نشـــاطا كبيرا، فكانت كل مدينة تروج منتوجاتها للمدن الاخرى وتأخذ ما تحتاجه من مواد اولية لصـناعة منتوجاتها، فسـكان الصـحراء يأتون للشـمال محملين بالتمور والاصـواف ويأخذون الصـوف الخام والحبوب والاغنام. في المقابل سـكان الشـمال يذهبون للجنوب محملين بالحبوب والجلود والاغنام ويأخذون المواد والمصـــنوعات التي لا ينتجونها في بلادهم، كما كانت هناك مبادلات تجارية خارجية مع دول عديدة كتونس، مالي، النيجر، ودول اوربية. لكن في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني قلة المبادلات التجارية[2] .

ان من بين العوامل التي اثرت سلبا على التجارة ما يلي:

- عدم مراقبة المبادلات التجارية البعيدة والواقعة في الحدود الشـرقية والغربية ومثال على ذلك كانت ارباح التجارة في الحدود الغربية يستفيد منها تجار مدينة فاس المغربية .
- الضرائب والرسوم التي فرضتها الحكومة على المحلات التجارية ارهقت الحركة التجارية.

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري مابين 1792-1830 ص ص 64-65

[2] أرزقي شويتام ، المرجع السابق ص 72 .

- تزايد نفوذ اليهود في اواخر القرن التاسع عشر انعكس سلبا على التجارة الداخلية والخارجية فقد سيطروا على جزء كبير من النشاط التجاري مما ساهم في فقدان الجزائر لجزء كبير من عائدات التجارة.

- الانعكاس السلبي للنظام الاحتكاري الذي اقرته الدولة على بعض المواد الاولية، يقول شالر: " نظام الاحتكار الذي اعتمدته الحكومة في جميع المرافق وحضرها تصدير المنتجات المحلية للخارج قد ادى الى خراب التجارة الجزائرية وقضى على الزراعة قضاء مبرما " [1].

-تعرض السفن التجارية للمضايقات (التفتيش) من قبل الدول الاوروبية فاضطر التجار للتنقل بسفن حربية لحماية أنفسهم وتركوا التجارة لبعض السكان والذين تعرضوا بدورهم لمضايقات ولم تسمح هذه الاخيرة – الدول الاوروبية – برسوا السفن الجزائرية في موانئها بحجة انهم قراصنة متنكرين في هيئة تجار .

-مسالة الديون:

تعود مسالة الديون الى عام 1796 م حيث وقفت الجزائر الى جانب فرنسا بعد تدهور وضعها الداخلي نتيجة محاصرة الدول الاوروبية لها، فأقرضت الجزائر حكومة فرنسا 2 مليون فرنك بدون فائدة و اشترطت من فرنسا ان تقوم باستخدام هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر . في البداية كانت عملية الشراء تتم بطريقة مباشرة اي تشتري فرنسا المواد الغذائية من الموانئ الجزائرية في المقابل تدفع ثمنها للحكومة الجزائرية، لكن احتكار اليهوديان بكري وبوشناق للتجارة الداخلية والخارجية _ كما اشرنا سابقا_ جعل فرنسا تتعامل معهما فتقوم بالدفع لهما على ان يقوما بالدفع للحكومة الجزائرية .

استمرت فرنسا في التزود بالحبوب والقمح من الجزائر حتى بلغت ديونها 24 مليون فرنك دفعت نسبة من هذه الديون للشركة اليهودية الخاصة ببكري وبوشناق لكنهما تماطلا في دفع ديونهما للجزائر واتفقا مع وزير الخارجية وقنصل فرنسا فقاموا بخداع الحكومة الجزائرية وذالك من

[1] وليام شالر، مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر 1816-1824 تر إسماعيل العربي ص 98 .

اجل تعقيد القضـــية و احداث مشـــاكل بين الدولتين، عرف الداي بهذه الخدعة فواجه الشـــركة اليهودية بالحقائق كما شـدد الخناق عليها لتدفع ديونها . قام المسـؤولين في الشـركة بتقديم رشـوة لسـفير فرنســا بالجزائر وممثل في الشـركة اليهودية بفرنســا نيكولا بليفيل **Nicolas Pléville** قدرت ب 2 مليون فرنك وذلك للمماطلة في دفع الاموال المســـتحقة للجزائر . بعدها تم تشـــكيل لجنة لدراسة الديون كان قرارها هو ان دين فرنسا اتجاه الجزائر هو 7 مليون فرنك فقط[1] .

في 24أكتوبر 1820 وافقت الجمعية الوطنية على قرار اللجنة و تم التأكيد على ان فرنسا قدمت مبلغ قدره 3175631 فرنك للشـــركة اليهودية على ان تســـلمه هاته الاخيرة للحكومة الجزائرية، لكنها لم تفعل ذلك . احتدم الوضـع بين الحكومتين وانسـحبت الشـركة اليهودية بعدما اشعلت نار الفتنة لتتوتر العلاقات بين البلدين خاصة بعد ان راسل الداي حسين الحكومة الفرنسية عدة مرات لكنها لم تكلف نفسها عناء الرد على هذه المراسلات لتتعقد العلاقات بين البلدين.

رابعا : الواقع الاجتماعي.

لقد بلغ عدد سكان الجزائر مطلع القرن التاسع عشر حوالي 3 مليون نسمة كما قدرت نسبة سكان المدن بـــ 5 ٪ من العدد الكلي واختلف توزيعهم من منطقة الى اخرى بسبب عدة عوامل. تميز المجتمع الجزائري بتعدد الاجناس مما ادى الى التنوع الثقافي و كانت التركيبة الاجتماعية للجزائر تتكون من:

- **الاتراك:**

و هم الطبقة الحاكمة بلغ عددهم 4 الاف نســمة ســنة 1830 م بيدهم الســلطة و الامتيازات و الثروة سكنوا القصور و اجروا الاراضي للجزائريين، انحصرت العلاقة بينهم و بين الشعب على الجبايات[2] و المغارم و حملات التأديب .

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص 16 .

[2] الجباية ،هي اقتطاعات نقدية تقوم بها الدولة على الأفراد لتغطية نفقات الدولة وتكون على شـكل ضـرائب أو رسوم .

- **الكراغلة:**

وهم الابناء المولودون من اب تركي وام جزائرية شـــكلوا طبقة متوســـطة لها بعض النفوذ والثراء.

- **الاندلسيون:**

و هم المهاجرون القادمون من اوروبا بعد سقوط الاندلس اخر معاقل المسلمين في اوروبا، ساهموا في تطوير الصناعة بالجزائر و اقامة مباني عمرانية على الطراز الاندلسي.

- **السكان المحليون:**

و هم ســكان القبائل المنعزلون عن بعضــهم البعض و المتصــارعون فيما بينهم . و قد كان سكان القبائل يعانون من التهميش و البؤس و الحرمان مفتقرين الى موارد العيش الكافية .

- **اليهود :**

لقد كان اليهود موجودين في الجزائر منذ زمن بعيد و زاد عددهم في العهد العثماني ، يتراوح عددهم بين 20 و 30 الف يهودي[1] ، احتكروا التجارة في الجزائر و زاد نفوذهم خاصـــة في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر ، و من اشهر العائلات اليهودية عائلتي بكري وبوشناق اللذان بســطا نفوذهما على التجارة في الجزائر بل و تعدى ذلك الى التدخل في ســياســة الحكم للبلاد و كانوا سببا في توتر العلاقات بين الجزائر و فرنسا كما اشرنا سابقا .

و- الاسرى المسيحيون:

ارتكزوا بالعاصـــمة بلغ عددهم خلال القرنين الاول و الثاني من العهد العثماني حوالي 25 الف اســـير[2] ، ثم ارتفع عددهم الى 36 الف تقريبا ســـنة 1623 م و بعدها انخفض عددهم

[1] فوزي سعد الله يهود الجزائر دار الأمة الجزائر 1996 م ص 112 .

[2] جون ب وولف، الجزائر وأوروبا تر، الدكتور ســعد الله ،المؤســســة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 228 .

تدريجيا الى نحو 500 اسير في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ليتقلص سنة 1830م الى 122 اسير[1] . عملوا في الحقول، البيوت، ورشات صناعة السفن، وفي الحانات.

لقد تأثر عدد السكان بالأوضاع المتردية للبلاد بعد الثورات الريفية التي شنتها القبائل المعارضة للحكم و الذي راح ضحيتها الشعب المغلوب على امره، و الحملات الاوروبية التي اودت بحياة الكثير من السكان و لعلى من ابرز هذه الحملات الحملة الانجليزية الهولندية عام 1816م. بالإضافة الى عوامل طبيعية مثل وباء الطاعون الذي تسبب في موت الكثير من السكان من بينهم دايات كوفاة الداي على خوجة سنة 1817م ايضا ، جنود ، سكان محليون ، و لقد بلغ عدد الوفيات جراء الطاعون 13030 وفاة عام 1817م ثم وباء 1822م الذي راح ضحيته 2272 وفاة .و ايضا وباء الجدري الذي اودى بحياة من 2000 الى 3000 نسمة بين عامي 1803 و 1804 م .

خامسا: الواقع الثقافي.

لقد كان التعليم الابتدائي مقتصرا على تحفيظ القران والفقه وبلغ عدد المدارس في قسنطينة قبيل الاحتلال 86 مدرسة وبالعاصمة 80 مدرسة، اما بتلمسان فقد بلغ عدد المدارس 50 مدرسة بالإضافة للتعليم في المساجد والزوايا.

اما المرحلة الثانوية فيتم تدريس الفقه والتفسير والتوحيد وعلوم اللغة والفلك والحساب وذلك لتخريج المدرسين والائمة والقضاة في الجوامع والزوايا المشهورة بالعاصمة، قسنطينة، تلمسان، مازونة، بلاد القبائل، واقليم الزاب على وجه الخصوص.

اما التعليم فقد تم اهماله من طرف الحكومة، فتكفل به الشعب عن طريق الاوقاف الاسلامية وجمع التبرعات.

[1]. عبدالقادر حليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 الجزائر 1972 ص 260 .

ومما يلاحظ في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني سيطرت الطرق الصوفية[1] و انتشرت ممارسة الدجل و الدروشة و البدع و الخرافات و الضلالات[2]، كل هذا ساهم في ركود الجانب الثقافي و الديني .

لم يعرف الجانب الثقافي و التعليمي تطورا كبيرا في العهد العثماني ، ذلك لان الاتراك اشتغلوا بالجهاد البحري و التجارة و الكسب البحري[3] .

1- العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرنين 15و16 م :

وقبل التطرق الى العلاقات الفرنسية على وجه الخصوص، لا بد من العودة الى جذور هذه العلاقات التي تجسدت في سماتها الاولى في التحالف الفرنسي العثماني وتجلي طابع الامتيازات، تعود الاثار الاولى للامتيازات الفرنسية في الاراضي العثمانية الى الصراع المعروف في التاريخ الاوروبي بالحروب الايطالية، والذي اتخذ شكل صراع مرير بين ملكين وهما، ال هابسبورغ النمساويين وال الفالوا الفرنسيين، للهيمنة على منطقة اوروبا الغربية، وبسبب عدم المساواة فيها تطلب توازن القوى بين العائلتين المساعدة اللازمة من الدولة العثمانية، عدو ال هابسبورغ واسبانيا.

بدا الصراع في مرحلته الاولى في عهد الملك شارل الثامن ملك فرنسا، كان يأمل في تنفيذ مشاريع عظيمة تبدا بغزو مملكة نابولي ومن ثم اطلاق حملة صليبية جديدة في الاراضي المقدسة لاستعادة الامارة المسيحية ومن ثم استعادة القسطنطينية من العثمانيين.

وقد اعتمد شارل الثامن في غزوه لمملكة نابولي 1494 على ادعاء كونه له الحق في وراثة عرش البلاد، بالإضافة الى وجود نبلاء في المملكة من مصلحتهم غزو فرنسا للبلاد، كما ان اعداء

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 م ط2 دار الغرب الإسلامي بيروت 2005 مج 1 ص 262 .

[2] بشير بلاح ، المرجع السابق ص 32 .

[3] أبوالقاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائرط 2 دار الغرب الإسلامي بيروت 1996 مج 1 ص 247

البيت المديتشي، بفلورنسا قد عمدوا من جهتهم الى التقرب من المملكة الفرنسية واسعي لديها من اجل غزو ايطاليا .

لكن من جهة اخرى تم تشكيل ائتلافية معادية لفرنسا، ضمت عدد من الامارات الايطالية

قد حققت فرنسا انتصارات ابرزها في سبتمبر عام 1515 م وهو الانتصار الذي مكنهم من احتلال جنوه و ميلان وسيطرتهم على سهل لومبارديا[1] ومن جهة اخرى بعد انتخاب الملك اسبانيا امبراطورا في عام 1519 م تغيرات الاوضاع فقد اجبر شارل الخامس فرنسا على توقيع معاهدة، تتخلى فيها عن الادعاءات الفرنسية في شبه الجزيرة الايطالية[2] في هذه الظروف ظهر التحالف الفرنسي العثماني على مسرح السياسية الدولية، فقد قام بهذه المبادرة البلاط الفرنسي، عندما راءت فرنسا انه سيضيع كل شيء منها اذا ما استسلمت، لقد اوفد الفرنسيون مبعوثا الي البلاط العثماني يطلبون فيه المساعدة وقد اجابهم السلطان على طلبهم[3].

لقد كان لهذا التحالف صدى مروع في الاوساط المسيحية الاوروبية، حتى في فرنسا بذاتها فقد تم اعتبار التحالف عملا غير مشروع وغير طبيعي للتباين الواضح في الاتجاه المسيحي الاسلامي[4]

خاصة ان الوجه العسكري والسياسي للتحالف الفرنسي العثماني لم يكن على ما يبدوا في مستوى طموحات الطرفين خاصة بالنسبة للطرف العثماني، كما ان هذا التحالف هو الذي سيكتب له الاستمرارية في العلاقات التي ستأخذ اسما اخر وهو الامتيازات لاسيما ان هذه الاخيرة ستصبح عنصرا بارزا ونقطة محورية. في العلاقات بين الدولتين اولا ثم في العلاقات الاسلامية فيما بعد

---

[1] – Lapeyre (H) Opcit p (117)

[2] – جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619م 1830 م)، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2010 م ص 4 .

[3] – احمد توفيق المدني، حرب 300 سنة بين الجزائر واسبانيا (1492 م 1792 م)، د ط، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968، ص 275 .

[4] – جمال قنان، نفسه، ص 42 .

لقد تم ابرام اول معاهدة في المجال التجاري عام 1529 وصدرت كشكل فرمان في عهد سليمان القانوني عهد سليمان القانوني(1520-1566 م) ثم المعاهدة التي ابرمت عام 1535 في المجال السياسي الذي تضمن السلم والوئام ثم تم عقد اتفاقيات تتعلق بالتسهيلات التي منحت للتجار الفرنسيين لتصبح سارية المفعول في جميع اراضي الامبراطورية العثمانية حيث لهم الحق في البيع والشراء مع حساب ضريبة الرسوم بقيمة منخفضة، لقد تحولت هذه الامتيازات منذ القرن 16 م الى القرن 18 م، الى حقوق اصبح الجانب الفرنسي يطالب بها وبدون مقابل مع مرور الوقت [1].

طرحت معاهدات الامتيازات المبرمة بين الدولة العثمانية ومملكة فرنسا امام الجزائر منذ وقت مبكر، اختيارا صعبا وعسيرا في ظل الظروف المتوترة التي لا تزال فيها الهجمة الصليبية الاسبانية تهدد منطقة المغرب[2] .

حيث ان كره الفرنسيين للأسبان هو الذي اجبرهم على تمتين صداقتهم مع البحارة الجزائريين ولم يجد الفرنسيون وسيلة تمكنهم من الانتقام من الاسبان سوى مشاركة بحارة الجزائر هجماتهم ضد الاسبان، لكن الفرنسيين كانوا ينظمون علاقاتهم مع الجزائريين على ضوء علاقاتهم مع الاسبان في حالتي الحرب والسلم، فالسفير (دويترمول) طلب من فرنسا اقامة قنصلية فرنسية في الجزائر بحجة ان اصحاب السفن الفرنسية، قدموا شكاوي ضد القراصنة (البحر المتوسط) الذين قاموا بالاستيلاء، على سفنهم ولم تجد فرنسا، حلا افضل من ذلك فتم تعيين في سنة (1564)، قنصل فرنسي في الجزائر وكلف بالسفر فورا الي الجزائر لكن الجزائريين لم يسمحوا له حتي بالدخول الي المدينة وظل الامر حتى سنة (1576) وبعد مفاوضات سمح الجزائريون للفرنسيين بإقامة قنصلية فعين (موريس صور) كأول قنصل بالجزائر لم يتمكن الفرنسيون من تعين وتثبيت قنصلهم الا بعد ان حصلوا على موافقة استانبول وزودهم السلطان بفرمان خاص، بذلك وبهذه

[1] – جمال قنان، معاهدات الجزائر ...ص 40، 41

[2] – جمال قنان، نفسه.، ص 42 – 46 – 47 .

المراسلة تمكن القنصل الفرنسي، من ممارسة عمله اعتبارا من(1577) ولم يكن لأي حكومة تمثيل قنصلي قبل هذا التاريخ[1].

وقد ظلت العلاقات الفرنسية الجزائرية ما قبل 1792 جيدة لاسيما دخولها في اطار استقرار السلم المئوي (1690-1790) اذ تحركت العلاقات الفرنسية الجزائرية خلال القرن 18 م في اطار المعاهدات التي ابرمت عام 1689 وقد اضيفت خلال هذا القرن وفي مناسبات مختلفة، بعض الترتيبات التي اصبحت جزءا لا يتجزا منها، وقد حاولت السلطات الجزائرية معاقبة كل انتهاك وبشكل صارم، اذ كانوا جزائريين حتى انه كان بعض الفرنسيين يلتمسون العفو عن الرايس المذنب والتي بدون هذه الوساطة لن ينجو من العقاب.

2 – العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17 و18:

لكن الامر ليس بالنسبة للفرنسيين فكثيرا ما كانوا يمنحون جوازات العبور، لسفن معادية للجزائر، بحيث تم تعين نطاق المياه الاقليمية الفرنسية بعشرة فراسخ اي حوالي (40 كلم^3)، حيث لا يحق للجزائر مهاجمة سفن الاعداء داخل هذا النطاق ، وفرنسا ملزمة بتعويض الخسائر داخل هذا النطاق وبما ان فرنسا كانت ترى انها في حالة سلم مع الجزائر اذن، اي تجاوز لهذا النطاق، من طرف دولة اخرى يعني انها تابعة لها، فالجزائر ملزمة بحماية فرنسا وغنائمها، اي انه هناك ضمانات لكن هذه التجاوزات، لم يكن هذا هو المعنى الحقيقي لها، بل المصالح الشخصية كانت هي المحرك لتوتير العلاقات[1]، لاسيما قضية القنصلية وفهم دورها داخل الجزائر، فقد كان القنصل يمتهن عملا اخر، غير التمثيل الرسمي لبلده، فقد مارس في كثير من الاحيان التجارة فتداخل مصالح الدولة، بالمصالح الشخصية، جعل العلاقات تسير ضمن منعرج ضيق في الكثير من المناسبات مثلما، حدث مع العديد من القناصل عندما قدموا تقريرات مطولة على

---

[1] – عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود على عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 ، ص (151-12).

[1] – غالي غربي، العدوان الفرنسي في الجزائر الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص 68

الجزائر اذ عبرت عن استيائهم الجديد لحصيلة علاقتهم بالجزائر[2] فالحل الذي دعوا اليه هو جرد حملة عسكرية لضرب الجزائر وذلك منذ القرن 16 م .

ان قنصلا يحمل مثل هذه الشحنة من الحقد للبلد الذي لم يسبق له ان عمل فيه كان من المفروض مراسلتهم بحذر ويقظة خاصة ان الفترة التي كان فيها مثل تلك المراسلات عادية ان لم نقل ودية.

كما يسجل ايضا لصدق نوايا الجزائرية انه عندما، اوفدت اسبانيا على غير انتظار مبعوثا الي الجزائر لطلب الصلح، قامت الجزائر باستدعاء قنصل فرنسا (دوكرسي) وطلب منه مقابلة المبعوث ومعرفة بسبب قدومه، ان هذا الموقف يناقض ما روجت اليه فرنسا بانها هي التي اقنعت الجزائر بقبول هذا العرض.

لكن العلاقات عرفت نوعا من التعكر في المنتصف الثاني من عام 1786، بسبب حادثة وقعت قرب السواحل الفرنسية، فحسب شهادة القائد السفينة الجزائري انه عندما ثم الاستيلاء من طرف الجزائريين على مركبتين حانوتيين واسر بحارتهما، توجهوا الي (هيير) الواقعة عند مدخل خليج ليون، قرب مدينة طولون حيث هاجمتها سفن حربية فرنسية، مما ادى الي اغراق السفينة الجزائرية، هذه الحادثة، خرق واضح لمعاهدة السلام، لأنها كانت سببا في غرق السفينة وضياع الغنائم، واطلاق سراح الاسرى الجنويين هذا بالنسبة لرد فعل الجزائر اما فرنسا، فقد عبرت عن انها ستجد الحل لتعويض الاضرار وترغب في تسوية المسالة طالبة من الجانب الجزائري، في اعادة النظر فيما يخص التعويض المالي، وتبديل السفينة التي غرقت بأخرى حربية، مشابهة لها، نظرا لصعوبة ايجاد سفينة مثلها .

لم تعر السلطات الجزائرية اهتماما لهذه الاقتراحات فقد علقت كل المسائل وتجنبت الدخول في اي نقاش قبل التعويض ودفع دية القتلى وقد وجدت الجزائر نفسها مضطرة لإيجاد تسوية حيث حدد الموعد بعد 40 يوما وبعدها يجب العمل بما هو مناسب لصالح البلاد.

[2] – جمال قنان، معاهدات الجزائر .....المرجع السابق. ص 19.

وبعد اخذ وعطاء في المسالة تم استبعاد الجانب العسكري، واقترح الحل التفاوضي بأقناع الجزائر بوجوب تعويض الجنويين بعد تقديم الادلة بكون الغنيمة انها داخل مياه فرنسا وتعويض الجزائر عن السفينة التي غرقت، لقد تم تسوية المسالة لان مطالب فرنسا لم تكن تعارضها الجزائر لكنها جمدتها فحسب، وفي يوم 29 مارس 1790م وقع الطرفان اتفاقا يكرس تسوية كل المساءل التي كانت محل خلاف، وتم تحديد مجال المياه الاقليمية الفرنسية بمدى مرمى المدفعية وليس ببعد (40 كلم[3]) كما كانت من قبل، وتم تغير شكل جوازات فرنسا، على ان لا تمنحها لغير الفرنسيين ولأعداد الجزائر، وتم الاتفاق على هذه المعاهدة منذ 29 مارس 1790 ولمدة مئة سنة اخرى[1] .

وفي يوم 4 افريل 1790 غادر المبعوث الملكي الفرنسي (دسانفيل) الجزائر عائدا الى بلاد حاملا معه رسالتين موجهتين من الداي لكل ملك وكاتب الدولة البحرية الكونت (دولا لوزيرن) لقد تمكن الجانبان من انجاز عمل مفيد لكليهما ومتخذين من مرجعية الصداقة التي جمعت بينهما منذ زمن بعيد حكما، للفصل في الخلافات السابقة، فهل سيمكن هذا الثقل المعنوي من حماية هذه الصداقة مجددا امام الاضطرابات والتحولات السريعة[2]

3- العلاقات منذ العهد الامبراطوري الى غاية 1830:

ا – العلاقات ما قبل مؤتمر فينا 1815:

عندما قامت فرنسا باحتلال ايطاليا(1796/1814)، اضاف ذلك الى الحكومة الامبراطورية، التزامات جديدة بشان حماية الرعايا الايطاليين في شمال افريقيا والسفن الايطالية في البحر الابيض المتوسط[3]واعتمدوا هذه المرة تعرض القباطنة الجزائريين لبعض السفن الايطالية[4]

---

[1] – جمال قنان، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص (29) .

[2] – فسه.

[3] – احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، د ط، دار النهضة العربية لنشر والتوزيع، لبنان، 1990 ، ص (321)

[4] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة، د ط، د م ج، الجزائر، 1992، ص (107)

فقام نابليون بايفاد اخيه جيروم على راس فرقة بحرية للجزائر بغرض التفاوض من اجل اطلاق سراح كل الاسرى الايطاليين والفرنسيين الموجودين بالجزائر وتهدده في حال الامتناع بان يسحب من الجزائر جميع اعضاء جالية الفرنسية ويبدا العمليات الحربية ضد الجزائر وقد اصرت الحكومة الجزائرية على عدم اطلاق اي اسير دون دفع الفدية وهكذا قام الداي بإطلاق سراح 231 اسير مسيحي من الايطاليين بثمانين الف قرش اسباني فقط حيث كانت الخزينة الجزائرية في امس حاجة الى المال بعد الازمة الاقتصادية وموجة الوباء ومن ثم تجدد عقد الصلح والامتيازات السابقة[1]، لكن مع القرن 19م تغيرت الاوضاع وتقلبت العلاقات بين الانفراج والتوتر حيث برزت في البداية نوايا فرنسا العدوانية ضد الجزائر غير ان الاوضاع المتدهورة بأوروبا آنذاك دفعت بها الى احداث القطيعة مع الجزائر كما انعكس هذا الوضع على اوضاع الجزائر الداخلية، حيث تميزت هذه الفترة بالاضطراب وعدم الاستقرار رغم المحاولات الدايات لوضع حد لهذا الصراع[2] .

كما ان الجزائر تعودت على واقع الترضيات باي شكل من الاشكال، الامر الذي اثار حفيظة فرنسا، بالرغم من قيام السلطات الجزائرية باكتراء السفن الفرنسية وتفضيلها عن غيرها من الاوربية، باعتبارها اول دولة مسحية صديقة للمسلمين وبالتالي كانت تحضى بمعاملة مميزة لكن الطرف الفرنسي لم يتقيد بهذا العامل الا في الحدود التي تضمن مصالحه وبمرور الزمن اعتبرت فرنسا هذا التفضيل وكانه حق.

وكانت اولى المماطلات عن رفضها لسياسة الدايات بالجزائر عندما رفض الفرنسيون تزويدهم بالهدايا، عندما كانوا يريدون ارسالها في الكثير من المناسبات الى الاستانة، الا ان الجانب الجزائري كان متفهما لظروف فرنسا الراهنة في تلك الفترة. وتأكيدها على الصداقة و التعاون وما يؤكد ذلك ما قدمته الجزائر للشركة الافريقية لاقتناء الحبوب ، وبلغ مقدار ما ارسل اليها الى

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر ، ص177

[2] جمال قنان، معاهدات الجزائر المرجع السابق ص 179

فرنسا عام 1791، 75 الف كيلة قمع اشترته بالسعر العادي نظرا لما كانت تمر به فرنسا من ظروف قاسية في ذلك العام وهذا ما اكده الداي الى لويس16 في نفس العام1791[1]

ويظهر الدعم الواضح في مختلف المواقف الفرنسية خاصة بعد قيام النظام الجديد ومباركته بعد الاطاحة بالملك وسقوط نظام الملكية رسميا يوم 22 اكتوبر 1792 .

وفي عام 1793 – 1794 مرت بفرنسا بأصعب الظروف حيث ظهرت قوى اوروبيا معادية لها محاولة خنق الثورة الفرنسية في مهدها، بالإضافة الى قيام الثورات الداخلية في فرنسا زادت من صعوبة الامر مما ادخل فرنسا في ازمة مواد غذائية فالحل الان هو ما قد تلعبه الجزائر فيما يتعلق بتموين المناطق الفرنسية لاسيما منها الجنوبية وذلك عامي 1794 و1793 وقد تم تقديم كل التسهيلات كمنحهم قرضا بمبلغ 50 الف قرش، اسباني لتسديد ثمن مشترياتهم، واعطائهم ، جوازين . جزائريين لتامين نقل هذه الحبوب الى فرنسا ففي رسالة وجهها الداي الى المسؤولين الفرنسيين في 16 اكتوبر 1794 اكد فيها استعداد الجزائر لتقديم اي مساعدة في نطاق الامكانية وقد قامت فرنسا بطلب من الجزائر اقراضها مبلغ 05 ملايين قرش اسباني ردت الجزائر على هذا الطلب برسالة كلها اسف واعتذار لان خزينة الجزائر لا تستطيع توفير هذا المبلغ الا انه طلب من الخزناجي ان يرسل الى فرنسا مبلغ 200 الف قرش "مليون فرنك ذهبي " وطلب من التجار اليهود ارسال صادراتهم من الحبوب الى موانئ فرنسا، ووضع اموال كانت قد استخرجت من الخزينة تحت تصرفهم عندما تخوفوا من الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا[2].

وبالرغم من كل المحاولات الاوربية خاصة انكلترا واسبانيا، لكسب رضا الجزائر وابعادها عن فرنسا، الا انها، لم تنجح في ذلك، لكن الاوضاع عرفت منعرجا اخر عند منتصف 1797 قد تسبب فيها سوء تصرف القنصل جون بون سنت اندري اذا طلب الداي ضرورة سحبه وتغييره

[1] جمال قنان، نصوص...، ص 218-219

[2] حمدان خوجة، المرجع السابق، ص102

حيث كان يتفوه بكلام جارح في حق الداي و المسؤولين ويقوم بطلب خدمات باسم الحكومة وتبين في ما بعد انها له[1].

وبالرغم من تغير هذا القنصل فان العلاقات الثنائية ازدادت توترا بسبب التحرشات النابليونية منذ عام 1798 م على البحر الابيض المتوسط .لقد كانت المقاطعة شكلية خاصة انها كانت تحت ضغط الراي العام المحلي و الاسلامي في المغرب و المشرق، وذلك من خلال الاجراءات التي اتخذتها ضد فرنسا مثل حجز القنصل و الرعايا الفرنسيين ، وتجميد الوكالة الافريقية القائمة على امتياز الباستيون ، وحجز سفينة فرنسية تحمل جندا فرنسيين تابعين للحامية ، التي كانت معسكرة في جزيرة كورفو[2*] وفي ناحية اخرى لم تتساهل الجزائر في اية مسالة تندرج في الاطار الذي يسمى المعاهدات السابقة لاسيما ان نابليون بونابرت[**] عبر عن رغبته الكبيرة في تغيير الاسس التي تقوم عليها هذه العلاقات و التي تبنتها العلاقات السابقة .

وقد عرفت العلاقات بين الدولتين فيما بين عامين 1808 حتى 1814 نوعا من المد و الجزر و التأرجح بين التوتر و الهدوء وذلك يرجع الى الدايات مثل : الداي احمد خوجة مصطفى باشا وقد اتخذت الجزائر العديد من الاجراءات الصارمة ضد التجار الفرنسيين بسبب الاعتداءات المتكررة ، التي كانوا يقومون بها ، للاستيلاء على سفن الاعداء داخل المياه الاقليمية الجزائرية من جهة، ورد على الاجراءات التي قام بها نابليون ضمن سياسة الحصار القاري، فالجزائر باعتبارها دولة محايدة ترفض الخضوع لهذه الاجراءات، وتصر على بقاء العلاقات بين البلدين في هذا المجال وفقا لما نصت عيه المعاهدات السابقة .

[1] جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1830)، طبعة خاصة2004، ص 226

[2] جمال فنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية المرجع السابق، ص 237

ب- العلاقات بعد 1815 الى 1830

لياتي عام 1815 الذي عبر عن انتهاء نابليون وحلم الامبراطورية واختفاءه من على مسرح السياسة[1]، ليعود الهدوء الى اوروبا على اثر سقوط نابليون، وبعودة ال بوربون الى عرش فرنسا، بادر الملك لويس 18 بارسال رسالة الى الداي عام 1814. يخبره انه على عرش ابائه، ورغبة منه على اتباع خطى اجداده واعتماد القنصل ديبوتانفيل، الذي يشغل هذا المنصب في عهد نابليون، واقر الداي ذلك واثبت من جهته يوم 12 جويلية 1814 جميع المعاهدات دون قبول القنصل السابق في هذا المنصب لانه سبق ان تم طرده [2].

وتم تعيين دوفال قنصلا عام 1816 م بالجزائر بتعليمات ، محددة تستهدف اعادة العلاقات بين البلدين الى مجراها السابق، لقد حمل القنصل الجديد الهدايا الى الداي والى المسؤولين في مختلف مصالح الدولة حيث كان هذا الامر مصدر قلق على عهد نابليون لانه كان يرى ان الهدايا ما هي الا ضريبة وهو يرفض الخضوع لها وقد كان يرى دوفال ضرورة اقناع الجزائر يرد استغلال الباستيون و افتكاكه من يد الانجليز ، فقد سارعت فرنسا الى استرداد هذا الامتياز ، وقد استطاع بعد ظرف قصير من اقامته في الجزائر ان يكون صداقات (مفيدة جدا)، وعلاقات قريبة من الداي الجديد ، علي خوجة عام (1817)، وقد اعاد له حق الباستون دون العودة الى اعضاء الديوان، فقد كانوا في جهل تام بالمسالة ، وعندما يتولى الداي حسين مقاليد الامور سوف يسعى الى راب الصدع ، وضع حد لهذه المهزلة فقد نص اتفاق على خوجة و دوفال على تخفيض الاتاوات الى حوالي 175 الف فرنك واتاوة باي قسنطينة من 37 الف فرنك الى 17 الف فرنك وفي المقابل ، فان دوفال تعهد باسم فرنسا ان تقدم للجزائر سفينة حربية ذات 80 مدفع او اكثر وتم عقد معاهدتين ف 15 مارس 1817 و اكتوبر 1817 اذ تحصلت بموجبها فرنسا على تخفيض الاتاوات التي تدفعها للديوان مع قنطارين

---

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر المرجع السابق، ص 248

[2] محمد العربي زبيري، مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال، مجلة الأصالة، العدد 12، فيفري 1973، الجزائر، ص 123 .

من المرجان للداي و ستاتي فصول اخرى لا تقل غرابة عن هذا الوضع في هذه الاثناء، انعقد مؤتمر فينا، الذي اجتمع لدراسة القضايا الاوروبية التي نجمت عن حروب الثورة والامبراطورية الفرنسية ، التي زعزعت ميزان القوى التقليدي القائم في اوروبا وقد حظيت دول المغرب البحرية باهتمام خاص خلال هذا اللقاء ان لم نقل انه هو الموضوع الرئيسي فقد تم طرح قضية بعنوان قرصنة الدول البربرية في المتوسط .

امام هذا المؤتمر عندما قدمت مذكرة، يجب ان يتم فيها اتخاذ الاجراءات على المستوى الاوروبي لقطع قرصنة الدول المغربية، وقد دعم هذا الطلب بمشروع ، مفصل قدمه البحار الانجليزي "سيدني سميث "، الى المؤتمر عند اواخر شهر ديسمبر 1814، وعلى الرغم من ان المندوب الانجليزي، قد اظهر، نوعا من اللامبالاة وعدم الاكتراث بهذا المشروع خوفا من اثار حساسيات الدول الاخرى، نحو انجلترا واتهامها بكونها تريد ان تستغل الظروف لإحكام قبضتها على المتوسط، لكن انجلترا كانت تريد تصفية حسابها مع دول المغرب خاصة الجزائر بسبب موقف الحياد الذي اتخذته اثناء الصراع الاوروبي، فوجود دولة مصممة ى تخطيط سياستها بنفسها وباستقلالية تامة مثل الجزائر لم يعد في نظر الانجليز مقبولا، بعدما خرجت من هذا الصراع اكثر قوة.

لهذا فان الفرصة قد حانت لتوجيه ضربة في الصميم لهاته الدول التي تعتبر مركز ثقل في منطقة المغرب، فاستغلال بند تحريم الرقيق على سواحل افريقيا اصبح اكثر من ضروري للأسباب السابقة ومنذ الجلسة الاولى 28 اوت 1816 هو نفس اليوم الذي تعرضت فيه الجزائر للقصف الانجليزي، تحول اهتمام الاوروبيين من قضية محاربة تجارة الرقيق[1] على سواحل غرب افريقيا الى موضوع قمع للقرصنة البربرية على حد تعبيرهم على سواحل افريقيا الشمالية، واصبحت العديد من الدول الاوروبية ترفض استقلال الجزائر وانفصالها عن الدولة العثمانية مثل النمسا، روسيا،

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر المرجع السابق، ص 254 .

وتعددت اجتماعات المندوبين، حول هذا الموضوع وفي الجلسة السابعة تم الاتفاق وبشكل نهائي على وضح حد للقضية وفقا لمقترحات الانجليزية.

وتم تأسيس رابطة بحرية مهمتها قمع وتصفية القرصنة المغربية وقد شعرت فرنسا بالحرج و الضيق امام هذا المشروع ، ذلك ان قبولها له يعني منح وسائل اضافية تساعد الانجليز على احكام قبضتهم على المتوسط ورفضه صراحة ليس امرا هينا لها خاصة، ان الدول الاوروبية ، التي اتحدت حول هذا القرار فوق اراضيها ، ويبقى القرار الفرنسي حول هذه القضية غير صريح اذ توقفت الاجتماعات لمدة تزيد عن السنة ولم تستأنف الا في 1818 وعندما ، بدأت الاجتماعات، اعلن المندوب الانجليزي، انه يريد ادخال تعديل على المشروع وقد تم تدخل الروسي بضرورة دعم الرابطة البحرية بالسلاح ، ولم يتم الاتفاق حول خطة عمل واضحة حيث حولت المسالة الى مؤتمر لبت في القضية وهو مؤتمر "اكس لاشابيل" 1818 .

التكلم عن هذا المؤتمر سياتي مطولا في الفصول اللاحقة ، لكن الغرض من الاشارة له هو ان الجزائر عبرت عن دهشتها لقيام الدول الاوروبية بهذا المسعى ، خاصة ان الجزائر كانت في حالة سلم تامة مع الدول الاوروبية هذا من جهة ، وعدم تدخل الطرف الفرنسي في القضية بجانب ايجابي من جهة اخرى، الامر الذي يشير الى ان فرنسا اخذت تتحرك وفي اتجاه معاكس ومعادي منذ هذه اللقاءات اذ تم التعبير عنها وبصراحة عندما عمد دوفال منذ عام 1820 الى العمل من اجل زعزعة القواعد و الاسس التي ارتكزت عليها العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ وقت طويل . فقد تبنى موقف الرفض بالاعتراف باستقلالية الجزائر وسيادتها ، وقد تم ملاحظة تلك الجهود بظهور نتائجها في باريس ففي رسالة وجهها وزير خارجية فرنسا الدوق " دي موموارنسي" الى الداي حسين عام 1822 عبر فيها عن استيائه من موقف السلطات الجزائرية التي رفضت ان ترد المساكن المخازن التي كانت تملكها الشركة الافريقية في عنابة ، قبل القطيعة التي حدثت بينهما عام 1798 لكن الداي لم يرد الدخول في تفاصيل هذه المسالة انما اكتفى بالإشارة الى ان هذه المباني هي من املاك الدولة،

وهي الان ملك للإنجليز منذ ان استغلوا تجارة الباستيون عام 1807 م، لكن فرنسا استمرت في ممارسة الضغط حول هذه المسالة ولا يستبعد في ان تكون سببا في توتر العلاقات بين الجزائر و انجلترا عام 1823م وان نجح الفرنسيون في حسم هذه النقطة فان هناك سهام اخرى في جعبتهم يستعدون لرميها في المعركة ، خاصة وان. قضية ديون بكري وبوشناق لم يتم تسويتها بعد ، وان طالبت الجزائر بالمطالبة بها، لكنها وجدت نفسها مطالبة مرة اخرى بحماية حقوق رعاياها وامتيازهم القضائي[1]

الى ان تظهر اسباب اخرى، وتزيد في توتر العلاقات فالعنصر الاول هو: حق تفتيش السفن في البحر و الذي اصبحت ترفضه فرنسا اما العنصر الثاني فهو ادعاء فرنسا على اضفاء حمايتها ، على الملاحة وسفن دول اجنبية لا ترتبط مع الجزائر بمعاهدة سلم حيث ادعى دوفال انه حصل على اعتراف شفوي من الداي بهذا الخصوص و العنصر الثالث مطالبة فرنسا بحقوق او امتيازات ابرمتها مع الدولة العثمانية لكن الجزائر لا تعترف بها، سوى المعاهدات التي ابرمتها هي بنفسها، خاصة بعد استقلالها عن الدولة العثمانية، ومهما زاد في طين بله هو قرار الحصار الذي فرض على الجزائر ان لم نقل انه، اتخذ سالفا قبل حادثة المروحة بخمسة اشهر، اذ منذ ديسمبر من سنة 1826، كانت الحكومة الفرنسية، قد اعادت ارسالية خاصة موجهة الى الجزائر مهمتها، تهديد الداي واجباره على تقديم الترضيات فان هذه الارسالية، تقوم بغرض حصار على السواحل الجزائرية، لكن باقتراح من وزير البحرية الذي اعتبر ان القوات غير كافية والفصل غير مواتي لمثل هذه الحملة [2].

حيث كان فصل الشتاء، وعند منتصف شهر جوان 1827، ارسلت حملة فرنسية، لقيادة القبطان كولي في مرسى الجزائر، قام بإرسال تهديدات باسم ملكه الى الداي حسين يطلب فيها تقديم الاعتذار عن الحادثة (حادثة المروحة) بالشروط وبالكيفية التي حددها الفرنسيون ومفادها،

---

[1] PlantetE Correspondonce Des Deys D'alger avec La Cour de France (1579_ 1833) _ 2 vol paris p(556_ 554

[2] ibid pp 563

ان لم يرسل وفدا الي سفينة القائد الفرنسي، مكون من كل من : وكيل الحرج ووزير البحرية، الشؤون الخارجية ومن الاميرال قائد البحرية، لميناء الجزائر، مصحوبين بكتاب الداي الاربعة الكبار، حيث يقوم وكيل الحرج بتقديم اعتذار باسم الداي للقنصل دوفال، ويتم في نفس الوقت رفع العلم الفرنسي على المباني البارزة في العاصمة، خاصة على قصر الداي ومقر القيادة البحرية، وتحيته بمائة طلقة مدفع من طرف مدفعية حصون المدينة، وان لم يستجب الداي لهذا الطلب خلال 24 ساعة فان القوات الفرنسية مضطرة للقيام بأعمال عدائية ضد الجزائر وهكذا فرض الحصار البحري منذ 1827 على العاصمة، وعلى سواحل البلاد والذي يستمر حتى سقوط مدينة الجزائر[1] .

مشاريع الاحتلال الفرنس ي للجزائر:

لقد خططت فرنسا لتنفيذ حملتها العسكرية على الجزائر والاستلاء عليها واحتلالها حيث قامت بجمع المعلومات عن طريق التقرير الموفدة من خلال القناصل والتجار والاسرى والمبعوثين الفرنسيين الذين اقاموا في الجزائر ودنوا كل ملاحظتهم في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والعسكرية وحرروا مخططات جغرافية توضيحية من اجل تسهيل عملية الانزال العسكري التي لم تكن رغبة طارئة ولكنها حقد دفين منذ زمن والدليل على ذلك هو مشاريع فرنسا الكثيرة لغزو الجزائر.

لقد كان ضعف الدولة العثمانية سببا في فتح المجال امام الدول الاوروبية لتجسيد اطماعها التوسعية لاحتلال سواحل وشمال افريقيا وعلى راسها الجزائر نظرا لموقعها الاستراتيجي، مكانتها الاقتصادية العامة، اضافة الى الامتيازات التي حظيت بها الدول الاوروبية وفي مقدمتها فرنسا والتي كانت تربطها علاقات مميزة مع الجزائر وهذا من خلال المكانة التي اصبح يتمتع بها دبلوماسيوها وتجارها وقناصلها ولقد بدأت هذه العلاقات في التطور خاصة بعدما منحت الجزائر

[1] جمال قنان، نصوص ووثائق ، المرجع السابق، ص 353 .

لفرنسا قروض بدون فوائد لشراء الحبوب وايضا فتحت امامهم الموانئ الجزائرية بعدما اغلقت في وجههم الاسواق الاوروبية لقد سعت فرنسا لاحتلال الصدارة في حوض البحر الابيض المتوسط.

لم تستمر هذه العلاقات على تلك الوتيرة التي كانت عليها بل بدات تتجسد اطماع فرنسا في الاحتلال وفق مخططات ومشاريع اتخذت خصيصا من قبل الساسة والعسكريين لتنفيذ مشروع الاحتلال[1]

اولا: مشروع دوكرسي1782-1791

تعود اهمية مشروع كارسي الى ان كل المشاريع والخطط العسكرية التي اعدتها الحكومة الفرنسية في الفترات اللاحقة من اجل احتلال الجزائر قد اخذت ما ورد في تقريره، اقام كارسي مدة 8 سنوات من 1782-1791 كان قنصل عام للحكومة الفرنسية، لقد مكنته هذه الاقامة من الاطلاع على اوضاع الايالة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وضع كارسي مشروعين لاحتلال الجزائر الاول كان سنة 1782 والثاني في 1791 فالأول سماه " مذكرة حول الجزائر" جاء فيه دور العلاقات الدبلوماسية والتجارية الفرنسية الجزائرية وطبيعتها وفيه يحذر حكومته من مغبة قطع علاقتها مع الجزائر لأنه اجراء لن يعود عليها بالفائدة ونصحها بإظهار الصرامة والجدية في تعاملاتها كما اقترح في مشروعه ان تعقد بلاده اتفاقا محددا مع الجزائر حول افتداء الاسرى فهو بذلك يرى ان قبل الحملة العسكرية يجب على فرنسا القيام بعدة اجراءات استباقية منها فدية الاسرى، سحب قنصلها واحتلال جزيرة طبرقة لان موقعها الاستراتيجي يساعد في انجاح الحملة ويقوي من مكانة فرنسا.

اما عن الخطة العسكرية الواجب اتباعها فهي تعتمد على استعمال الجيش البري فقط، كما اوصى بهدم كل الحصون والقلاع ونقل المدافع الى فرنسا ونص مشروعه ايضا على ان الموقف الواجب

[1] الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر (الخلفيات الأبعاد) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، ص44.

اتخاذه تجاه الجزائر بعد احتلالها هو تاسيس حكومة مشكلة من السكان وتكون نتيجة هذا الاجراء انتعاش الحركة التجارية بين البلدين وهذا ما يساهم في ازدهار تجارة فرنسا.

مشروع دوكرسي الثاني 1791

تكرر في مشروعه انه يجب اخراج الرعايا الفرنسيين المقيمين في الجزائر، سحب كل السفن الفرنسية من الموانئ الجزائرية، اعلان الحصار على مدينة الجزائر وتشديد الرقابة على موانئ الجزائر لمنع البحارة الجزائريين من الابحار.

حشد القوات اللازمة لإخضاع المدينة.

اما عن انسب منطقة لنزول القوات الفرنسية حسب رايه هي منطقة سيدي فرج[1].

ثانيا: مشروع François Philipe le Maye 1800

هو مشروع عسكري قام بكتابته سنة 1800 تضمن محورين:

الاول: لمحة حول الوضع السياسي والاقتصادي والتجاري والعسكري والاحصائي للإيالة.

الثاني: فقد خصصه للمخطط العسكري والطريقة والكيفية لتي يتم بواسطتها الهجوم على مدينة الجزائر والاستلاء عليها واوصى بان يكون نزول القوات الفرنسية مفاجئا وسريعا في شرق وغرب مدينة الجزائر وفي يوم واحد تليه مرحلة الاستلاء على برج مولاي حسن الذي يشرف على هذه المدينة ولقد ختم مشروعه بالتاكيد على الفوائد الجمة التي ستجنيها فرنسا من وراء الاستلاء على الجزائر وعلى راسها الكنوز والثروات الهائلة الموجودة بالخزينة والاراضي الصالحة لزراعة الكروم[2].

*، دوكرسي، كان قنصل لفرنسا في الرشيد ودمياط وكان من أشد خصوم النظام القائم في الجزائر للمزيد ، أنظر أحمد عزت عبد الكريم في تاريخ العرب الحديث، ص305

[1]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الآيالة 1815–1830، ص73.

[2]– الغالي الغربي، المرجع نفسه، ص16

ثالثا: مشروع ديبوا تانفيل Dubois Thainvile 1801

هو عبارة عن مذكرة مفصلة حول مختلف الاوضاع بالجزائر سنة 1801 اكثر منه تقريرا عسكريا وهو تلبية لرغبة السلطات في معرفة دقائق الامور عن الجزائر.

تمحورت هذه المذكرة حول طبائع الحكام ودور اليهود والوضعية الاقتصادية للجزائر وامكاناتها العسكرية والبرية وجاء فيها ايضا حث الحكومة الفرنسية على تخليص الجزائريين من الاستبداد العثماني.

المذكرة الثانية:

في سنة 1809 قدم مذكرته الثانية الى وزير الخارجية الفرنسي Dechanpagny بعنوان حول الجزائر.

جاء فيها معلومات مهمة عن جغرافية الجزائر ومناخها وارضها واهم زراعاتها ومدنها الرئيسية وكذلك معلومات عن شكل النظام السياسي السائد والتقسيمات الادارية، انواع السكان و عاداتهم وطبائعهم وايضا افرد حيزا معتبرا للقدرات العسكرية للجزائر و امكاناتها الاقتصادية مثل التجارة، النفقات، العملة وفي خاتمة المذكرة اقترح مجموعة من الوصايا التي على السلطات الفرنسية اتباعها لتستقر لها اوضاع الجزائر ومنها تمكين الجزائريين من حرية العمل وضمان ملكياتهم[1]

رابعا: مشروع Jean Bon saint André

قدم هذا المشروع ردا على مجموعة من الاسئلة الموجهة اليه من طرف وزير البحرية الفرنسي "ديكريه" تنفيذا لرغبة نابليون بونابرت الى صاحب هذا المشروع على اهمية العودة الى ما كتبه كارسي خاصة فيما يتعلق بالجانب العسكرية، اما ما يتعلق بالجانب الاجتماعي فقد اشار الى ضرورة استشارة بيرون المدير العام للشركة الافريقية بالبلاد البربرية، اما عن الخطة العسكرية الواجب اتباعها لدخول الجزائر فقد اكد على اهمية النزول في راس ماتيفو وسيد فرج في ان واحد

[1]- الغالي غربي، مرجع سابق، ص17-19.

ولتامين نجاح الحملة العسكرية اقترح اشغال الجزائر باثارة حرب مع تونس اما ميدانيا فانه يرى ان البداية تكون بتكثيف القصف البحري باعتباره الوسيلة الوحيدة والفعالة التي تلحق بالجزائر اكبر الاضرار المادية واقترح ايضا ان يقسم الجيش الفرنسي الى قسمين الاول تكون نقطة نزول منطقة راس ماتيفو والثاني سيدي فرج ثم يزحف الجيشان نحو المرتفعات الخلفية لمدينة الجزائر كنقطة التقاء ومنها سيكون الهجوم على برج مولاي حسن. وبذلك تستسلم المدينة دون اي مقاومة ورغم اهمية هذا المشروع الا ان السلطات الفرنسية لم تعطه الاولوية بسبب انشغال فرنسا [1].

خامسا مشروع تيدينا (1802) Thedenant

جاء مشروع تيدينا تحت عنوان" نظرة حول ايالة الجزائر لا يختلف هذا المشروع عن المشاريع السابقة من حيث المعلومات التي تخص الجزائر والفوائد التي تعود على فرنسا فلقد اشار تيدينا الى صعوبة الهجوم البحري على مدينة الجزائر ولهذا يؤكد على اهمية الهجوم البري الذي وضع له خطة عسكرية حدد فيها نقطة النزول والمسالك والدروب التي على الجيش الفرنسي ان يسلكها .

حدد تيدينا شاطئ تنس الواقع غرب مدينة الجزائر كمنطقة انزال وهذا لان المنطقة ملائمة للنزول وكذلك خلوها من التحصينات والدفعات العسكرية الا ان هذا المشروع كانت نهايته مثل الذي قبله لانه حالت الظروف على تجسيده [2]"

سادسا: مشروع (1802) Pierre Hulin

ارسل بيار هولان ضمن البعثة الفرنسية المتوجهة لمدينة الجزائر بقيادة الاميرال الفرنسي ليسقري للتفاوض مع الداي حول موضوع تجاوزات البحارة الجزائريين ضد السفن الاوروبية التي تحمل الراية الفرنسية واثناء تواجده هناك راح يتجسس على اسرار الحكومة الجزائرية و يجمع

---

[1]- الغالي غربي، المرجع السابق، ص09.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر لحديث وبدية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص ص 15-16.

المعلومات عنها وبعد عودته الى باريس اعد مشـــروعا لاحتلال الجزائر بعنوان" ملاحظة حول جمهورية الجزائر" ورغم انه لم يضـــع خطة للاســتلاء على مدينة الجزائر الا انه نتطرق في تقريره الذي سلمه لنابليون بونابرت الى مواضيع عدّة في غاية الاهمية تخص النظام السياسي والوضع الاقتصـادي والاجتماعي مع ارفاق تقريره بصـورة لمدينة الجزائر كان قد رسـمها بنفسـه حدد فيها الساحل وما يتضمنه من تحصينات ومرتفعات جبلية، وانه رغم الاهمية التي يكتسبها المشروع الا ان انشغالات فرنسا الدولية والداخلية حالت دون تجسيده[1].

سابعا: مشروع دوفال Pierre Duval

قدم بيار دوفال* مشـروعين عسـكريين لاحتلال مدينة الجزائر الاول سـنة 1819م والثاني 1827 امر كليهما على ضرورة ضرب حصار بحري على مدينة الجزائر باعتباره الوسيلة الوحيدة لإخضـاع المدينة، اما مشـروعه الثاني كان تنفيذا للأمر الصـادر له من وزير البحرية الفرنسـية grouzolle cont chabrol وتطرق في هذا المشروع لاهم الـاحداث التي عاشها وعاصرها اثناء اقامته بمدينة الجزائر وايضا ضمنه بوصف طوبوغرافي للمدينة مع استعراض للوضـعية العسكرية والاجتماعية للجزائر واخيرا الخطة العســكرية التي حدد فيها نقطتين للنزول: الاولى اعتبرها نقطة اســاســية وتكون غرب المدينة براس فاكســين، اما النقطة الثانية وهي ثانوية في رايه تكون شــرق المدينة في الشاطئ الممتد من وادي الحراش الى برج البحري[2].

ثامنا: مشروع اللجنة العسكرية 1828

في 10 اكتوبر 1828 قام وزير الحربية الفرنسـي Decaux بتشـكيل لجنة من العسـكريين الفرنسيين من اجل التحضير للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، وتضمن تقرير اللجنة عدّة محاور

---

[1]– حنفي هلايلي، مرجع سابق، ص ص 73–74.

*، دوفال، هو أخر قنصل فرنسي قبل الإحتلال كان تاجر تورط في كثير من القضايا مع بكري وبوشناق وكانت مواقفه الشخصية من الأسباب التي زادت الوضع تدهورا عندما وقعت الأزمة بين الجزائر وفرنسا.

[2]–حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص75.

اساسية منها: اهداف الحملة، تشكيلات الجيش البري والبحري الفرنسي المزمع ارساله للجزائر قيادة الاركان والمصالح الادارية المشاركة وقطع الاسطول المخصص للنقل وتحديد نقطة التقاء تشكيلات الحملة والزمن المناسب لنجاح الحملة، تقدير النفقات المالية التي تكلفها الحملة، ونقطة النزول واخيرا العمليات العسكرية التي على الجيش القيام بها بعد نزوله على الشاطئ الجزائري وقد اتفق اعضاء اللجنة على ان النصف الثاني من شهر ابريل هو التاريخ المناسب لانطلاق الحملة[1].

تاسعا: مشروع نابليون بونابرت

ان نوايا بونابرت منذ البداية كانت كهدف لجعل البحر الابيض المتوسط بحيرة فرنسية لذلك تعددت مخططاته لشن حملة ضد دول المغرب العربي واقامة مستعمرات عسكرية وضم الجزائر الى امبراطوريته ولتجسيد هذه المشاريع طلب من الفرنسيين الذين كانوا اسرى بالجزائر او الذين عاشوا بها تقديم معلومات عن الجزائر.

فلقد طلب من ووزير الحربية دوكري لإعداد حملة فأشار عليه بإرسال مبعوث خاص للجزائر لدراستها فاختار الضابط بوتان[2].

تعريف الضابط بوتان:

هو فانسون ايف بوتان ولد في جانفي 1772 في قرية لوروبروتون بنواحي نانت بفرنسا كانت عائلته تنتمي الى احدى الطبقات الفرنسية الصغرى تلقى بوتان منذ صغره تربية دينية حيث دخل احدى المدارس الدينية في نانت، وفي جويلية 1791 تحصل على شهادة معلم في الفنون كما استطاع انهاء دراسته الكلاسيكية في سن 19 عشر بعد ذلك انتقل الى باريس لمدة سنة ونصف قصد الدخول في المدرسة العسكرية للهندسة وقد كان له ما اراد، كانت له عدّة مشاركات في العديد من الحروب التي خاضتها الثورة الفرنسية خاصة بعد تخرجه من المدرسة العسكرية ومن اهمها معركة ماستريخت، وفي مارس 1795 عين بوتان نقيب وارسل الى شمال فرنسا حيث

[1]–الغالي غربي، مرجع سابق، ص22.

[2]– يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...ص167.

تمكن من السيطرة على الوضع هناك عام 1797 مع بداية 1799 عين على راس احدى الجيوش الفرنسية المتمركز في سويسرا وبحلول سنة 1800 التحق بوتان بجيش نابليون بونابرت الذي اوكل له سنة 1808 مهمة وضع تقرير مفصل لاحتلال الجزائر.

مشروع بوتان Boutin1808

يعتبر مشروع الضابط بوتان من اهم المشاريع الاستعمارية التجسسية التي وضعت عن الجزائر في القر التاسع عشر لا يقارن بالمشاريع التي سبقت ذلك لغزارة ما ورد فيه من معلومات واحصائيات سياسية واقتصادية واجتماعية وطوبوغرافية وخاصة ان صاحبه بمكن اعتباره من المتخصصين في مجال الجوسسة وجمع المعلومات، ولهذا فقد جمع فيما كتبه عن الجزائر كل المعطيات ودقائق الامور مهما صغرت ويستفيد منها من يريد لان يحتل الجزائر باقل الخسائر وصل بوتان الى الجزائر 24 ماي1808 الى غاية 7 جويلية 1909.

يحمل مشروع بوتان عنوان " الاستعمار" وبذلك تتضح اهداف ونوايا فرنسا و لأهمية ما يتضمنه كتابه فقد اعتمد من طرف وزارة الحربية الفرنسية كأحسن مصدر يمكن الاستعانة به من اجل التحضير للحملة العسكرية، وطبع تقريره في كتاب واقتطعت عدّة مقاطع منه وجمعت في دليل مع اضافات وتعديلات، ثم وزع على قادة مختلف تشكيلات الجيش الفرنسي سنة 1830 وقد التزم هؤلاء اثناء توغلاتهم وهجماتهم ومعاركهم وتحركاتهم التكتيكية بنفس الملاحظات والتحليلات والارشادات الواردة في الكتاب [1].

[1]- جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، د-ط، منشورات متحف المجاهد، ص199 إلى 203.

وقد جاء في كتابه:وصف لمدينة الجزائر وضواحيها، ابراجها تحصيناتها.

- الامكانيات العسكرية لحكومة الداي.
- المدن والموانئ الجزائرية واهميتها، عنابة القالة، القل، جيجل، بجابة، دلس، الجزائر، شر شال، راس تنس، ارزيو، وهران، المرسى الكبير، مستغانم.
- المعطيات المناخية والطبيعية.
- المعطيات الاجتماعية، السكان، اللغة، الامراض الاوبئة.
- المعطيات الاقتصـــادية، التجارة الداخلية والخارجية، الصـــناعة والمواد الاولية، الزراعة والمحاصيل الزراعية النقود.
- المعطيات الطوبوغرافية: التضاريس الطبيعية الطرق، المسافات، المياه، الانهار.
- الخطة العسكرية للهجوم: مكان وتوقيت الانزال البحري، الجيش الضروري للحملة[1]

واكد بوتان ان النقطتين الاساسيتين اللتين تسترعيان الاهتمام هما:

- اختيار المكان اللائق لانزال القوات قرب العاصمة والمقاومة التي ستجابهها عند الانزال ان افضل مكان هو ساحل سيدي فرج مبينا العيوب ومحاذير الانزال شرق العاصمة مؤكدا وجهة نظره بفشل محاولات الاسبان المتتالية.

اما في ناحية الغرب فإلى جانب كون الشـــاطئ كله رملي فان المنطقة كلها خالية من التحصينات وبرج سيدي فرج لا يستحق اي اهتمام لكونه قديم والنقطة الثانية في نظره ان الجزائر لا تســـتطيع تعبئة اكثر من 60 الف جندي ويرى انه لتوفير كل الظروف الملائمة لنجاح الحملة فان قيام حرب بين الجزائر وتونس يكون شيئا مفيدا لان ذلك سيشغل باي قسنطينة ويمنعه من الانضمام بقواته، كما ان ارسال وحدات الى وهران سيجبر باي الغرب على البقاء في مكانه وهو ما سوف يحقق التفوق العددي للقوات الموجهة نحو الجزائر ويرى بوتان ان العمليات العسكرية ضد

[1]- جمال قنان، نصـــوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث1500-1830، ط2010، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص306.

العاصمة لن تستغرق اكثر من شهر كما حدد الوقت الملائم للانزال فيها بين شهري ماي واكتوبر ولكن افضلها ما تقع بين 10 ماي و10 جوان

ج- مقتطفات من تقرير بوتان عن الجزائر 1808

استطلاع المدن والحصون وبطاريات مدينة الجزائر ونواحيها الذي انجز بمقتضى اوامر وتعليمات صاحب السعادة سيدي ديكري وزير البحرية والمستعمرات والمؤرخة في 1و2 من شهر مارس 18018 لاعتماده كمشروع لاعداد حملة وتوجيهها ضد هاته البلاد والاستقرار نهائيا في هاته البلاد.

كل العناصر التي تم تناولها لاعداد المشروع المذكور هناك عنصرين اساسيين وهما:

مكان الانزال والمقاومة التي يتحتم التغلب عليها بعد ذلك.

ان العنصر الاول يجب فيه الدارسة المفصلة لطبيعة الارض والثاني سيتضح بوصف الحصون وتقدير قوات والداي، سنشرع الان في الكلام اولا عن الارض ثم عن الحصون والبطاريات ثم نتناول بعد ذلك مختلف المسائل

وبعد ان استعرض الاماكن القابلة للانزال في شرق مدينة الجزائر وتبين معايبها.

لم يبق الان سوى الرقعة الواقعة بين راس فاكسين وسيدي فرج وهما تحتها فهنا بالفعل المكان اللائق لذلك فالشاطئ في هذه الرقعة رملي وفي كل هذا الجزء توجد لا بطاريات ولا حصن ما عدا البرج الوحيد عند سيدي فرج والذي لا يستحق ان يوضع في الاعتبار، فهو مربع الشكل، وذو ارتفاع ما بين 15 \الى 20 مترا على لاكثر تقدير، وعرض جانبيه ما بين ثلاثة الى خمسة امتار وبه مدفع واحد صغير في حالة سيئة فهو برج قديم لن يستطيع الصمود امام قصف مدفعي حتى ولو كان خفيفا.

وترتيبات الهجوم العامة الاخرى تتمثل في ارسال مفرزة من القوات في مدينة وهران، والعمل على ان يكون باي قسنطينة في حالة حرب مع باي تونس وقيام بحريتنا اثناء عملية الانزال عند سيدي

فرج في حالة توفر سفن كافية باستعراضات متحرشه امام مرسى وميناء مدينة الجزائر لاجل تثبيت الجزائريين عند بطارياتهم وهو شيء يصحبهم كثيرا.

قوات الداي ان المشاة تكون من الاتراك بمعنى اولئك الذين دموا مباشرة من الشرق، وكذلك من الكلوغلية ابناء الجنود الاتراك الذين رخص لهم بالزواج في الجزائر ومن عدد قليل من الزواوة او جميعهم يمكن ان يصـــل عددهم الى 15 الف اي 10 الاف تركي و 5000 كلوغليب وهن هذا العدد تتشـــكل حاميات مختلف المدن في البلاد، ولن يبقى في مدينة الجزائر اكثر من عشـــرة الاف جندي ففي الحملة ضد تونس تم تعبئة 8000 جندي ولم يبقى سوى عدد قليل من القوات في مدينة الجزائر و كل الناس لاحظت ذلك.

قوات الداي في حالة حرب

وبعد ان اشار الى الحملة الاسبانية الاخيرة ضد الجزائر 1775 وفشلها اضاف بكون الجزائريين قاموا في ذلك الوقت حسـب قواهم بتعبئة 80 ألف جندي لكن الميل الى المبالغة الذي يتصـف به هؤلاء الناس يسمح بتخفيض هذا العدد بدون الخوف من الغلط الى 60 ألف وهو اقصـى ما يمكن ان يجمعه الداي من القوات في حالة كون الظروف جد مواتية بالنسبة له.

صادرات الجزائر م خلال تقرير بوتان:

بصفة عامة فان الجزائر لا تصدر اي شيء من المنتوجات المصنوعة ما عدا بعض السلع الترفيهية كالمحافظ وماء الورد والمناديل الحريرية التي يسـتعملها نسـاء البلاد كمحازم يتمطقن بها، كما تصنع الزرابي في القالة، كما تصنع في مدينة الجزائر محازم ومناديل التي تكلمنا عنها وكذلك كمية قليلة من الملاءات الخشنة وتصنع في الجبال الاغطية والمعاطف والبرانس.

وتصدر على الخصوص:

القمح، الشعير، الحنطة، القمح الصلب، الذرة، والرز هو نوع النوع الرديء، الشمع، العسل وزيت الزيتون والبرتقال، والليمون والكر موس، وقليل من التمر كما تصـــدر العنب والجلود، والصـوف، واللوز ومن الحيوانات الابقار، الاغنام او الخيول وغيرها وفي السـنوات الجيدة تصـل

مشـــتريات الشـــركة الافريقية في ميناء بونه وحده الى 8000 كيله وســـتة عشـــر الف قنطار من الصوف.

الواردات الجزائر من خلال تقرير بوتان:

تستقبل بعض السلع من ازمير ودمشق، ومن مصر، وتستقبل من اوروبا وخاصة فرنسا الاقمشة والكتان الهندي الرفيع والاواني المعدنية المنزلية والحديد الصلب والالمنيوم، والرصاص، والقصـــدير، وكذلك ادوات الحرف الرئيســية والاقمشـــة الحريرية والمناديل الحريرية، امّا التجهيزات البحرية والذخائر الحربية فتاتي على الخصوص من البلدان الشمالية.

العملة:

تقوم الايالة بسك السلطاني والنصف السلطاني، وربع السلطاني، والسلطاني الجزائري تساوي 11 فرنكا وينقسم الى عشر بطاك والبطاك هي عملة تساوي ثماني 8 موزونات، والموزونة الواحدة تساوي 2صول واحد على16 من الفرنك وهكذا فان البطاك شيك تساوي 22 صولا كما يسك بها السلطاني زر محبوب وهو مثل السلطاني السيد الكبير اي السلطان العثماني و انما ينقش عليها اسم الباشا داي الذي يحكم البلاد وسلطاني القسطنطينية له نفس قيمة السلطاني الجزائري

والقرش من الفضة هو ايضا عملة عملية ويساوي 24 موزونة ونصف القرش تحت اسم البيست ويسمى ايضا بالدويلة فوردة، ولقد ضربت هذه العملة في جميع الاوقات مثلها مثل الموزونة، ويوجد ايضـــا عملة تدعى بالا ســـبر (اي الدرهم) وهي محدودة التداول اما العملات الاجنبية فهي مثل السلع فقيمتها تتحدد حسب السعر اليومي الاجباري[1]

وما يمكن استخلاصه ان المخططات والمشاريع الفرنسية التي قدمت من طرف الساسة والعسكريين الفرنسيين بغرض احتلال الجزائر كانت مجرد تصورات وذلك باعطاء معلومات عن

[1] – جمال قنان، نصـــوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500–1830)، ط2010، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص 306.

الجزائر، تحديد مكان وزمان نزول الحملة والاهداف المترتبة عنها لكنها لم تجسد على ارض الواقع الا خطة الضابط بوتان Boutin التي اعتمد عليها في سنة 1830.

دوافع الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر

لقد دفعت فرنسا لاحتلال الجزائر عدة اسباب منها فقدان فرنسا لمستعمراتها خلال حروب نابليون ورغبتها في تكوين امبراطوريتها من جديد، وقد لقيت في ذلك تاييد دول اوروبا من جهة نظرة صليبية اما السبب المباشر فيكمن في ان فرنسا كانت قد مرت بضائقة اقتصادية شديدة ابان حروب نابليون وعداء الدول الاوروبية لها

كانت الجزائر طيلة ثلاثة قرون سيدة البحر المتوسط (16م-18م) تتمتع باستقلالية وسلطة قوية اعترفت بها الدول الاوروبية وسارعت تلك الدول للتقرب من الايالة الجزائرية، وعينت قناصل لها في الجزائر، لاحتلال مساحة اكثر للنشاط التجاري في حوض البحر في الابيض المتوسط، ومن اوائل الدول التي حظيت لمعاهدة صداقة مع الجزائر الدولة الفرنسية التي كانت لها صلات مع الايالة الجزائرية منذ القرن 16م.

وخلال القرن 18م عرفت فرنسا تغيرا سياسيا بفعل الثورة الفرنسية عام 1789م، التي ادت الى صراع بينها وبين الدول الاوروبية الرافضة لسقوط الحكم الملكي، وخلال تلك الفترة لم تجد المساعدة سوى من الجزائر التي اعترفت ببنود الثورة الفرنسية وزكتها في الوقت الذي اجتمعت فيه القوى الاوروبية وتكتلت ضد فرنسا الحرة[1]

ونظرا للمكانة التي اصبح عليها اليهود في الجزائر، فقد استخدموا كوسيلة ضغط على الجزائر من طرف الدول الاوروبية، لاسيما اليهوديين بكري وبوشناق. كانا يمارسان نشاطهما تحت حماية

[1] – عائشة عباسي، حفصة بن يطو ، الحملات الأوروبية على الجزائر من خلال مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف (1754م-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجلفة، 2012 ص150

الداي واصـــبح لديها نفوذ قوي وتأثير كبير في كل المجالات الحيوية[1] ومن خلال تجارتها امدت الجزائر فرنســا بالقمح دون دفع مســبق، لذألك نجم عنه الديون الجزائرية الفرنســية 1794م التي كانت احد الاســـباب الاســـاســـية لحملة فرنســـا على الجزائر و التي يعود تاريخها قبل عهد الامبراطورية[2]. و التي انبثقت عنها حادثة المروحة 1827م بين الداي حســين باشــا و القنصــل الفرنسي دوفال، وتطورت القضية الى ان ادت الى احتلال الجزائر 1830 م .

1-دور شركة بكري وبوشناق في التجارة الخارجية الجزائرية:

في نهاية الربع الاول من القرن 18م ، رحل من مدينة ليفورن عدد من الاســر اليهودية، التي لم تعد تتحمل الحياة في جنوب ايطاليا، وجاءت الى الجزائر تبحث عن العيش والاســـتقرار فعائلة "بوجناح " التي وصـــلت الى ميناء عاصـــمة الايالة ســـنة 1721م، ولا تملك قوت يومها . فبادر رئيسها الى العمل عند بعض التجار، ولم نعرف عنها شيئا الا سنة 1782م، بدا يظهر نجم احد ابنائها " نفطالي (نفتالي) [3]" اما عن اسباب انتقالها كانت تجارية، وكان " دابيد بوشناق" (الاب) يشـتغل عند باي تونس بمسـاعدة القنصـل البريطاني " اللورد روتشـفورد Lord Rochford " الى ربط وتنسـيق النشـاطات التجارية لهذه العائلة بين مدن تونس و الجزائر و ميناء ماهون اما عائلة بكري فاول اســتقرار تجاري و اول اقامة مســتمرة في الايالة ســنة 1774م وترجع بعض الوثائق التاريخية ان اول ظهور لها بمدينة الجزائر 1716م .

قادمة من ليفورن وهي تتكون من الاب " ابن زهوط بكري" او ابن "زقوطة " " او ميشـــال كوهين بكري Michel cohin bakri الاســم الاكثر شــيوعا، و ابنائه الاربعة، جاء الى في البداية الى مدينة الجزائر سنة 1770م بمفرده لبيع الخردوات في دكان صغير بنواحي باب عزون، الذي كان حيا ذا كثافة سكانية يهودية عالية بحكم وقوعه حول اكبر سوق (السوق الكبير) .

---

[1] – محمد زروال ، المرجع السابق، ص ص 29 – 25

[2] – حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 140

[3] – محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 257

ثم لحقت به عائلته . وتوسعت ثروته شيئا فشيئا الى ان اسس شركة مع ابنائه الاربعة، " يوسف joseph " و مردوشي اومردوخاي Mardoché" و يعقوب Jacob " وسليمان Solauman" تحت اشراف الحاخامين سماح دوران samah duran، ويعقوب شلبي شكيتو اللذين اشرفا على التأسيس القانوني للشركة.

كان لبوشناق علاقات اجتماعية ، وكان من ضمن الشخصيات التي ارتبطت بالباي مصطفى الوزناجي (1755م 1795م) (2) وهو الجد الكبير للعائلة صديق الباي، بالجزائر ليلتحق به شخص من نفس العائلة اسمه " ابراهام بوشناق " 1724م وهذا ما ساعدنا على التمييز بين " نفطالي الجد " الذي قاد الهجرة الى الجزائر.

ووالده هو موسى بوشناق moisa busnach" من بين الارتباطات الحاسمة في المسار السياسي و الاقتصادي المستقبلي للعائلة بوشناق فضلا عن ارتباطها بالباي كما ذكرنا فيما سبق[1].

ارتبطت الاسرتان بأواصر المصاهرة فزوجة نافطالي بوشناق سيصبح رئيس الطائفة اليهودية عام 1800م هي ابنة " ميشال بكري " واخت يعقوب الذي سوف يترصد المكانة الاولى في مسالة الديون، وقيام شراكة بين الصهرين، ادى الى تاسيس شركة في حدود 1783م واصبحت تلعب دورا بارزا في المعاملات التجارية بين الجزائر و اوروبا[2].

يجتمع فيها الدهاء السياسي، و العلاقات السياسية المتينة مع السلطة الجزائرية و البلدان الاجنبية فمنذ ان زفت بنت ميشال كوهين بكري الى بيت نفطالي كما ذكرنا سابقا، وبعد ذلك وفي وقت لاحق تزوج دافيد ابن جوزيف بكري من اخت نفطالي الصغيرة " عزيزة "، وتطور الارتباط العائلي للمصاهرة في الحين الى ارتباط تجاري، بحيث دخل نفطالي بوشناق كشريك في مؤسسة سليمان بكري و اخوانه Salman Cohen–Bacré et Fréres وتحول بالتالي الى اسمها الى "De **bacré Fréres et Busnach**" الاخوة بكري و بوشناق، وفي سنة 1793م تحصلت

[1] – فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 277

[2] – حنفيي هلايلي ، المرجع السابق، ص 44– 45

الشركة على عقد يقضي بتمويل فرنسا بالحبوب لمدة 5 سنوات، وتوسطها اقرض الداي السلطات الفرنسية 5 مليون فرنك[1]، فظهروها في ظروف الحرب و بالاخص في تجارة الحبوب التي اصبح الطلب عليها شديدا في اوروبا عموما وفرنسا بوجه الخصوص، و التي توجد صعوبات تقف في وجه تزويدها بالمواد المعاشية بسبب الحصار البحري المفروض عليها[2] وعملوا على استعطاف الشخصيات الرسمية و الاعيان في الايالة، ولتحقيق ماربهما استعمل جميع الوسائل ابتداء من الهدايا الثمينة و المساعدات المالية[3] .

لقد استخدم الداي حسن باشا (1791 م– 1798 م) هذه الامكانية ليكون في مستوى المثل (الصداقة الحقة) فدفع بالتاجرين دفعا، الى فتح المعاملات التجارية مع فرنسا من خلال تزويدها بالمواد المعاشية، و امدهما بالأموال من الخزينة للقيام بعملياتها التجارية لصالح فرنسا، في الماضي كانت جل معاملاتها مع انجلترا، ومع البلدان الايطالية، فهذه المعاملات كانت تغيظ الفرنسيين وتقلقهم لدرجة كبيرة، فأرادت الجزائر تبديد هذه النظرة كلما سنحت الفرصة . فعندما اشتكى القنصل جون فون سانت، اندري من التاجرين متهما اياهما بتفضيل التعامل مع الانجليز على حساب فرنسا، و أكد الداي حسن باشا وتصدى لهذا الاعتقاد ان معاملاتها هي تجارية بحتة

ففي سنة 1795م وفد احد ابناء ميشال بكري يعقوب الى فرنسا لمتابعة عمليات الشركة الجديدة بها واتخذ مدينة مرسيليا مدينة تجارية يوجه منه الى سائر اوروبا وما يبعث اليه اخوته من بضائع ، ثم بدا يربط العلاقات الودية مع المسئولين في فرنسا، فمدير الغرفة التجارية بمرسيليا عبر عن خوفه من انتشار نفوذ اليهود، وحث على التقليل من حركتهم، لكن الداي كان الى

---

[1] – فوزي سعدا لله ، المرجع السابق، ص 277

[2] – جمال قنان، العلاقات ... مرجع سابق، ص 275

[3] – العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 258. *– جون فون سانت اندري ، ولد سنة 1749م بجنوب فرنسا، كان راهبا ثم قنصلا عاما في الجزائر سنة 1798م وخلفه مولتيدو، توفى سنة 1813م، أنظر جمال قنان ، نفسه، ص 104

جانبهم [1] فلم يكن النفوذ اليهودي المالي مقصـــورا على الجزائر وحدها فقد امتد تاثير اليهوديين بكري و بوشناق ليعم تقريبا كامل ارجاء منطقة البحر المتوسط فكان لهما مراكز تجارية موزعة في اهم مدن البحر المتوسط ذات اهمية

كمرســيليا، جنوه، نابولي، ازمير، الاســكندرية، تونس، ليفورن، قرطاجة (اســبانيا) منطقة الراين وبلجيكا، فهما كان يتوفران على ترف باذخ فقد امتدت سطوتهما الى الكثير من دول البحر المتوســـط نظرا للقروض المالية التي كان يقدمانها الى هذه الدول و الوســـاطة التي كان يقومان بها لديها و اســتطاعا لفت اهتمام الداي الى تجارتهما وقد كانا يديران الاعمال لحســابه و باســم الدولة[2] وعندما قام نابليون بونابرت بحملته على مصــر ســنة 1798م طلب وزير خارجية تاليران من بكري تزويد الجيش الفرنســـي بكميات كبيرة من القمح، تحمل في مراكب جزائرية لئلا تتعرض لهجمات الانجليز، ومن هذا كله طلبت انجلترا من الباب العالي ان يامر بطرد اليهود من ممتلكاته، و في الوقت ذاته كان مصطفى باشا (1798م-1805م) قد تولى الحكم اثر وفاة حسن باشــا يوم 14ماي1798م . كان مصــطفى صــديق لبوجناح (بوشــناق)، وتربط بينها مصــالح شخصية ولذلك اغمض عينيه ولم يعط للامر اهم، فبوجناح قد تسرب نشاطه الى شؤون الدولة فكان يرفع ويخفض الموظفين و البايات ويعين الباشوات مما جعل بعض الناس يطلقون عليها اسم " ملك الجزائر " وبلغ تاثير ذالك بما فعل مع قنصل الدنمرك و السويد و هولندا 1801م كما وقام بمفوضــة البرتغال باســم الجزائر ســنة 1804م واســتقبل مبعوث الســلطان العثماني بالجزائر[3] ونجدهما قد اعطيا كذلك تسهيلات في الدفع طويلة المدى الشيء الذي كان يسمح لهما بتضخيم ديونهما فيما بين 1793-1800م[4] .

---

[1] – محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 260

[2] – جمال قنان، نفسه، ص 104

[3] – محمد زروال ، نفسه، ص 25

[4] – محفوظ قداش ، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر) 1830م – 1954م، منشـــورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 9.

ولم يقتصـــر احتكار اليهوديين على التجارة الحبوب فقط، بل امتد امرهما الى القطاعات الحيوية في البلاد فسيطروا على مورد هام وهو الاخشاب التي تنهض عليها صناعة السفن و البواخر، فقد تاتى لليهوديين بكري و بوشناق ان يسيطروا على بيع الاخشاب في كامل المدن الممتدة من بجاية الى نواحي القل، و حصلوا على ترخيص من الداي مصطفى باشا عام 1799م[1] فقد كانا يمثلان رؤوس التجارة الخارجية، وفي نفس الوقت كانت تمثل شـبكة جوسـسـة مكنتها من الاطلاع على المشـاريع و المؤامرات السياسية التي قد تنظم في الخفاء[2] فخلال المرحلة الالى من عمر الشركة استقبل يعقوب بكري في ميناء مرسيليا 33 سفينة شحنت لحسابه سنة 1795، و 34 سفينة سنة 1796م لينخفض في السـنتين المواليتين الى 16 سـفينة و المعروف ان طاقة شـحن السـفينة من الحبوب في هذه الفترة، كانت تتراوح ما بين 1500 حمولة ووزن الحمولة يبلغ 150 كلغ، ومن جهة اخرى، فان ميناء مرسيليا استقبل خلال 4 سنوات كميات هائلة من القمح الوارد من الجزائر تراوحت ما بين 70760 حمولة في سنة 1795 الى 10527 حمولة في سنة 1798.

وتجب الملاحظة بهذا الصـدد ان شـركة بكري و بوشـناق ليسـت الوحيدة التي تصـلها من خلالها قمح الجزائر فهناك الى جانبها الوكالة الافريقية، وقد تعرضـت هذه الاخيرة لمنافسـة شـديدة من قبل مؤسسة بكري و بوشناق منذ مطلع 19م التي اصبحت تسيطر على التجارة الخارجية بفعل تاييد الحكومة الجزائرية لها، وتمتعها بحماية باي قسـنطينة مصـطفى الوزناجي (1775-1795) الذي تقلد ادارة المدفوعات لنفطالي بوشناق[3] ولعبت شركة بكري و بوشناق دورا خطيرا في تنشيط جانب التصـدير من التجارة الخارجية، واسـتطاع المسـيرون اليهود بفضـل ما كانوا يقدموه للدايات من معلومات تتعلق بشـؤون الايالة في الداخل و الخارج او الهداية الثمينة او المسـاعدات المالية

[1] – محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسـية 1791 إلى 1831 دحلب المؤسـسـة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2009، ص 32.

[2] – محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث،ج3،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دت، ص 249.

[3] – حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق، ص 159

التي كانوا يوزعونها[1] وكان يهودي سـيمون ابو قاية Simon Aboucaya الجزائري الاصـل قد استقر في مدينة باريس، وتحول الى وكيل لبكري وبوشناق، تدفع الخزينة الفرنسية مبالغ الحبوب الى حسابه . و باسمه، وقيل ايضا عينه الداي حسين مراسلا له، ووكيل لشؤون الجزائر بفرنسا، لان اخته تنسـب الى عائلة زوجة الداي، وكلفه بان يتولى بيع ما يبعثه له هو او يصـله باسـمه، ولقد كتب القنصل الفرنسي جون فون سانت اندري JVSaint André 1796-1798 بخصوص تجارة اليهود " من ذا الذي يصدق بان تجارة البحر الابيض المتوسط قد وقعت في يد يهوديين من الجزائر؟ ومع ذالك فهذه الحقيقة ... ففي اي سـوق مهم نجد فيه ممثلي شـركة بكري و بوشـناق ..."[2] ولقد كان يقوم بكري بالوسـاطة بين مصـالح البايليك و الشـركة الفرنسـية لتسـهيل تصـدير الحبوب و الصـوف الى اوروبا ثم توسـع نشـاط الشـركة العقارية حتى اصـبحت تسـاهم في القوافل التجارية بين تونس و قسنطينة و اراد بذلك الاستحواذ على تجارة تونس مع الشرق الجزائري[3]. قرر مصطفى باشا بمجرد اعتلائه سدة الحكم، اخذ ملق العلاقات مع فرنسا بصرامة و عزم[4] .

كما ذكرنا سابقا الحملة الفرنسية على مصر فلقد لعب فيها اليهوديين دور كبير في الضـغط الممارس على الداي حتى يتراجع عن اعلان الباب العالي للحرب على فرنسـا يوم 16 اكتوبر 1798 حتى جعلاه يتراجع، ولكن جاءه الامر ثانية من السلطان في 22 نوفمبر 1798م بضـرورة قطع العلاقات مع فرنسا واعلان الحرب عليها فعمد الى سجن القنصل موليتدو في يوم 21 ديسمبر 1798م . ليطلق سـراحه بعد اسـابيع فقط يوم 22 فيفري 1799م بضـغط من بكري و شـريكه،

[1] – محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 95

[2] – حنفيي هلايلي ، مرجع السابق، ، ص 48

[3] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ... المرجع السابق، ص 55

[4] – جمال قنان، العلاقات ....مرجع سابق، ص 285

ويفسر هذا الموقف من اليهود بكري و بوشناق بفتح فرع جديد لشركتهما في مرسيليا، بهدف توسيع علاقاتها التجارية في البحر المتوسط[1]

فالقنصل "موليتدو" لا يتوفر على صفات تؤهله للنجاح في مهمته بالجزائر في منظور مشاريع فرنسا المشرقية، فالقنصل الذي خلفه شارل ديبواتقيل Duloi Tanville كان يتمتع بنوع من الشهرة في الاواسط النافذة في فرنسا . كمطلع وعارف بدقائق الشئون المشرقية لحكم اقامته في المدينة ازمير منذ 1794م كمحافظ عام لفرنسا[2] فلم تكن التجارة الخارجية احسن حالا لاسباب اهمها قلة الانتاج المحلي واحتكارها من قبل الحكومة التي فرضت قيودا شديدة على التصدير و الدعاية الاجنبية التي اساءت الى سمعت التجار الجزائريين وكانت تتم اساسا مع دول اوروبا ثم مع المغرب و تونس . وقد سيطر اليهوديين عليها وحازوا نفوذا كبيرا بفضل ذالك[3] وقصة تدخل هذين اليهوديين بكري و بوشناق في العلاقات بين الجزائر و فرنسا تشكل جزئا اساسيا في تطوير العلاقات بين البلدين، وبينما فرنسا مدينة لليهوديين لبكري و بوشناق، كانا هما مدينين للدولة الجزائرية .

[1] – كمل بن صحراوي ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الديات، ط1، بيت الحكمة، الجزائر 2009 ، ص 154

[2] – جمال قنان ، العلاقات، مرجع سابق، ص 285.

[3] – بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م – 1989، ج1، دار المعرفة، 2006، ص ص 47، 50

وفي سنة 1790م قدر دين فرنسا بمليونين من الفرنكات، اما الدين اليهوديين للجزائر فقد قدر 300، 000 فرنك [1] مع بداية عهد الداي مصطفى باشا 1798م-1805م، سوف تطرح بشدة مسالة تسديد ديون التاجرين[2] فلقد ادت عملية احتكار التاجرين بكري و بوشناق للتجارة في القمح و الحبوب الى ارتفاع الاسعار وبالتالي الى انتشار المجاعة في اواسط الشعب فعم السخط و التذمر و الظاهر ان تعاظم دور المتعاملين الاقتصاديين اليهود في حكومة الجزائر، جعلت وزير خارجية فرنسا تاليران Talleyrand يخبر معاونيه بترضية مطالب مؤسسة بكري و بوشناق، وهذا الاخير كما ذكرنا سابقا كانت له اتصالات مباشرة مع ممثلي الدول الاوروبية، كما كان الوسيط الرئيسي في كل مرة يتفاوض فيها داي الجزائر الذي يقدمه الى مثل هذه القضايا نظرا لخبرته في شؤون العلاقات و المفاوضات[3] و الداي كان ساكت على اعمالهما لانه كان يتقاسم معهما الارباح ولولا تدخل اليهوديين في شؤون الايالة و الادارة الداخلية كما قامت ضدها الثورة و اجمع الناس على ضرورة القضاء على نفوذهما، فالراي العام حملهما تبعة انتشار المجاعة، وهذه الاحداث ستؤدي لنهاية حيات هاذين اليهوديين جراء الخيانة و التسبب في مشاكل داخل الجزائر، ففي اواخر جوان 1805م بينما بوشناق خارج من قصر الجنينة صباحا، اذ هجم عليه احد جنود الانكشارية وقتله بعدما نداه (ملك الجزائر)، وبعدما بلغ النبأ مصطفى باشا خاف على نفسه و خاشية ان تتحول الثورة اليهوديين ضده .

ونظرا لهذا النفوذ و الهيمنة على الداي مصطفة الذي وقف حجر عثرة امام الانجليز بمنعهم من استغلال الجزائر ضد نابليون فلقد حرص القنصل فالكون Falcon و مواطنه الاميرال "كايت

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص ص 14، 15.

[2] – جمال قنان ، العلاقات ...، نفسه، ص 112

[3] – حنفيي هلايلي ، المرجع السابق، ص ص 48، 58

"Keith بعض افراد الجيش الانكشاري ضد الداي[1] بسبب سلوكياته بحيث كانت معاملته لليهود، وعلاقته بالأوساط المالية اليهودية سبب في اعلان العصيان[2]

وقد استغل احمد خوجة الخيل سابقا هذه الاشياء لتنفيذ المؤامرة التي حاكها بالتعاون مع عناصر الجند للتربع على عرش البايليكية وهو ما تحقق له فعلا، حيث تمت مبايعته لنفس اليوم الذي قتل فيه مصطفى باشا[3] امام باب عزونسنة 29 اوت 1805ولكن اكبر حادث هي تلك التي اودت بحيات رئيس الشركة و الجالية اليهودية بكري فهو لم يتعظ من الحوادث واستمر يتدخل في شؤون الدولة . وبعد ذلك بسنوات للباب العالي من اجل الحصول على خلع الحاج علي 1817-1818م فوشى به منافسه اليهودي " ابن ثابت " فقطعت راسه امام الجنينة بأمر من الديوان في اواخر فيفري 1811 وكان لهذه الحادثة تأثير سيئ في اواسط اليهودية بالجزائر اذ لجا معهم حوالي 200 شخص الى مركب القنصل الفرنسي، كما هاجرت نهائيا من مدينة الجزائر 100 عائلة يهودية الى تونس على متن سفينة فرنسية، وفي 10 جويلية 1805م هاجرت 200 عائلة بما فيهم افراد عائلتي بوشناق و بكري الى ليفورن .

هذه الحوادث التي جرت سابقا قد تبين لنا الجانب السلبي من حياة اليهودية بالجزائر، ومع ذألك فهي تعبر لنا وبصدق عن بقاء الجالية كدخيلة عن مجتمع الجزائر المسلم، فقد تبين بانه لا يربطها مع بقية السكان سوى المصالح المادية التي تحصلت عليها من خلال الاعمال التجارية التي احتكرتها وابرام الصفقات المربحة.

اضافة الى ذألك التدخل في الشؤون السياسية و العسكرية للبلاد التي اودت بحياتها ومع ذألك قد تسببوا في توريط الحكومة الجزائرية في مسالة الديون التي كانت بين التاجرين وفرنسا،

---

[1] – أبو العيد دودو ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان، 1830 –1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ، ص 40

[2] – أحمد شريف الزهار ، المصدر السابق، ص 108

[3] – جمال قنان ، العلاقات ...المرجع السابق ، ص 179.

ومع مرور الايام اصبحت المسالة بين البلدين، فلم تمر فترة زمنية على شحن الحبوب الاولى سنة 1793م من طرف شركة بكري و بوشناق حتى طالبا فرنسا بواسطة ممثلهما سيمون ابوقية في مرسيليا، ومن هذا سنتطرق الى قضية الديون و المطالبة بها من خلال عنصر مطالبة الجزائر فرنسا بالديون من خلال بعض الرسائل التي كان فحواها مخاطبة حكومة فرنسا لدفع ما عليها .

- مطالبة بالديون:

تعتبر قضية الديون مسالة حادة طبعت العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ نهاية القرن 18م وتعود اصول هذه القضية الى مرحلة قيام الثورة الفرنسية ، وما نتج عنها من صراع بين فرنسا و الانظمة الاوروبية الملكية التي لم تتاثر في التضييق على النظام الجديد[1] فرغم صلات الود التي ربطة الجزائر بفرنسا و المساعدات التي قدمتها لها ابان تألب الدول الاوروبية عليها، و الامتيازات التجارية الخاصة التي منحتها لها في سواحلها فان فرنسا قد عاملت الجزائر كما يعامل الضيف اللئيم مضيفه[2] فشركة بكري و بوشناق كانتا تقدمان اجالا لتسليم القروض، لكن مصحوبة بفوائد جوهرية، ففي نهاية 1795م كانت فرنسا مدانة بمليوني فرنك، مع اضافة تموينات بعد ذألك التاريخ، وفي ربيع 1797م تذرعت الحكومة الفرنسية بالنوعية السيئة لجزء من حمولات الحبوب، فقررت ارجاء تسديد الديون الخاصة ببكري و بوشناق[3]

وفي نهاية نفس السنة عبرت الحكومة الفرنسية و لأول مرة وبشكل صريح عن مواقفها من التاجرين :" يجب عليكم ان تعملوا بجهد من اجل ابعادهم (اليهود) عن معاملاتنا السياسية منها و التجارية، فمن الناحية السياسية فان تدخلهم يشكل مهانة للجمهورية، ومن الزاوية التجارية فان منافستهم تضر بالمصالح التجارية لمواطنيها[4] وفي سنة 1793م طالب التاجران تسليم المبلغ

---

[1] – كما بن صحراوي، مرجع سابق، ص158

[2] – إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي المعاصر في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، 1997، ص 254

[3] – عمار حمداني ، حقيقة غزو الجزائر، تر ، لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 39

[4] – جمال قنان، العلاقات ... المرجع السابق، ص 189

لسيمون ابوقية ممثل الشركة في باريس، ومن خلال المفاوضات التي جرت لإنهاء الحرب بين البلدين طرحت السلطات الجزائرية مسالة تسديد ديون التاجرين كشرط اساسي لعودة العلاقات السلمية بين الطرفين، ولعل الاهم من هذا كله، هو ان الايالة اعفت الفرنسيين من دفع الضرائب السنوية واكتفت بالهدايا، وقوفا الى جنبهم في الظروف التي عاشوها عقب قيام الثورة[1] ولما تماطلت الحكومة الفرنسية في الدفع كتب الهيا الداي حسن باشا في 18 ماي 1797م وكان محتواها المطالبة بتسديد الديون لسيمون ابوقية بطريقة لبقة تجعل العلاقة بين البلدين تسير الى الاحسن دائما ومع ذألك لم تلقى اي اعتبار، لكن بقيت القضية مجمدة بحجة تموين يهود الجزائر للإنجليز بجبل طارق بالمواد الغذائية و غيرها، ثم تظاهرت السلطات الفرنسية بالرغبة في دفع الديون بوساطة قنصلها بالإيالة مولتيدو، لكن حملة نابليون على مصر في 1798م حالت دون ذألك لتوتر العلاقات الجزائرية الفرنسية خصوصا بعد ضغوط الباب العالي على الايالة الاعلان الحرب على فرنسا وطرد اليهود، في هذه الاثناء بدا وزير الخارجية تاليران 1797-1809م صديق اليهود، ينشط ويعمل على تسديد هذه الديون لأصحاب الشركة التي صدرت شحنة الحبوب (بكري و بوشناق)[2]

وفعلا قد توصل تاليران الى ان يقنع حكومته بوجاهة رايه عن الديون الجزائرية التي بدات فجأة ديونا لا جدال في حقيقتها، ولم كان اليهوديين مدينين لحكومة الجزائر بمبلغ 300، 000 فرانكا وكان لا يستطيعان تسديد هذه القيمة للداي فقد طلب منه ان يتدخل لدى الحكومة الفرنسية لجعل حد لهذه القضية، عندئذ كتب الداي مصطفى باشا في 7 سبتمبر 1798م رسالة الى تاليران وقد نتج من هذه المراسلة المكتوبة من حكومة الجزائر الى الحكومة الفرنسية اذ تطورت مسالة دين اليهوديين من قضية رعايا دولة الى مشكلة اصبحت تتعلق بدولتين فرنسا من جهة و

[1] – كمال بن صحراوي، نفسه، ص 159

[2] – فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 309.

*– انظر الملحق، رقم 09، ص 38

الجزائر من جهة اخرى[1] و الحت الحكومة الجزائرية في المطالبة[2] قد قدرت هذه الديون بمبلغ 7، 942، 992 فرانك و 64 سنتيما ومن اجل ذألك قررت الحكومة الفرنسية في جانفي 1800 ان تدفع مبلغ 3، 725، 631 فرانك وتحجز الباقي الى ما بعد التحقيق وهو 4، 217، 361 فرانك و 50 سنتيما بشان الحبوب الرديئة ولقد لعب القنصلان جون فون سانت اندري و ديبواتنفيل في اقناع المسئولين الفرنسيين بضرورة معالجة هذا الدين معالجة سياسية [3].

ولكن بكري وجد في باريس حليفا له وهو كما ذكرنا سابقا تاليران الذي اعطى الداي وعودا لدفع الديون وبهذا ضلت مسالة الديون عالقة بسبب شخصيات فرنسية و يهودية مثل ديبواتنفيل، و بالنسبة التاجرين فان الحساب الذي قدماه للحكومة الفرنسية عند منتصف شهر اوت 1800م . حدد كما ذكرناه سابقا بدون فائدة و يمكن اعتبار الفترة الممتدة بين 1803-1813م على انهاء مرحلة التعفن بالنسبة لهذه المشكلة فالجزائر لم تعد مصدرا لتصدير الحبوب الى فرنسا، بسبب موجة الجفاف التي اجتاحت البلاد سنة 1800م . وبلغت ذروتها في عام 1805م[4] فمعاملات التاجران مع فرنسا ارتكزت اساسا على تجارة الحبوب مما انعكست اثارها وبصفة سلبية على مؤسسة بكري في فرنسا، ولقد واصل الداي احمد باشا (1805م-1808م) سياسة الضغط على الشركة اليهودية لتصفية حسابها مع خزينة الدولة فاسترجع المبلغ الذي كان ذمة نفطالي ثم فرض عليها مبلغ 4 ملايين فرنك لحماية اشخاص مسيرها من ابناء بكري و بوشناق، و المعروف ان القناصل الاجانب تدخلوا ازاء هذه المعضلة واقترحوا على الداي ان يكون الدفع بالتقسيط في ظرف عشرين شهرا وخلال هذه المحنة تمكن دافيد بن يوسف بكري من ان يتقرب من الداي ويتودد اليه

---

[1] – محمد زروال، المرجع السبق، ص 39

[2] – أحمد توفيق المدني، هذي هي الجزائر ...، المرجع السابق، ص 41

[3] – يحيى بوعزيز، علاقات ...، المرجع السابق، ص 113

[4] – حنفيي هلالي ، المرجع السابق، ص 50

حتى عينه في جوان 1806م على راس الجالية اليهودية بالجزائر ثم اعفائه من شـــركائه مما تبقى من الضريبة المفروضة عليهم [1]

وقد اشـار المؤرخ الجزائري سـعدا لله في حديثه عن النزاع القائم بين المسـلمين و اليهود في الجزائر العثمانية، ان سـبب يراجع بالدرجة الاولى الى تحكم اليهود في مقاليد السـياسـة عن طريق الاقتصاد و انهم السبب الرئيسي في النزاع الذي حصل بين الجزائر و فرنسا.

و الذي ادى في نهاية المطاف الى الاحتلال الفرنسي الجزائر[2] وبعد ما تمكنت انجلترا من اسطول البحر الفرنسي في البحر المتوسط اثر معركة الطرف الاغر في اكتوبر 1805م . اصبح التقارب بين الانجليز و الجزائر فاشـعر الداي القنصـل ديبواتنفيل انه سـيطلب منه دفع الاقسـاط المتأخرة من الاتاوة المسـتحقة عن الامتيازات الافريقية وكذألك المطالبة بتقديم الهدايا القنصـلية، الى جانب تسـديد ديون التاجرين بكري و بوشـناق كما اخبره بنية الحكومة بسـحب الالتزام من الفرنسـيين وهو ما حصـل فلجا الامبراطور الى طلب تدخل الباي العثماني لوضـع حد لتجاوزات الجزائر خاصـة لما اخذ الداي المؤسـسـة الفرنسـية وتنازل عنها الانجليز لمدة عشـرة سـنوات وكان ذالك سـنة 1807م واسـتلمت الجزائر منها مبلغ 10 الاف جنيه ولكن عندما تمكن نابليون من احراز النصر على روسيا في معركة فريدلان في 14 جوان 1807م فوقع نابليون معاهدة سلام مع روسيا هي معاهدة تيلسيت في جويلية 1807م واعتبر نابليون الظرف ملائم لتصفية الحسابات مع الجزائر[3] فالقنصـل ديبواتنفيل عرض العلاقات بين الجزائر و فرنسـا بين 1800م1814م الى صعوبات كبيرة بحكم تقلب مزاجه وحالته الشخصية وهو الذي كان تسييره لأموال القنصلية الفرنسية سـيئا للغاية حتى ان لجنة التحقيق الفرنسـية اتهمته باختلاس الكثير منها، وحكم عليه بمصـادرة امواله لصـالح الخزينة الفرنسـية ونظرا لمواقفه الملتوية، طالبت السـلطات الجزائرية بفرنسـا بابعاد

[1] – محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 275

[2] – أبو القاسم سعدا لله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 454.

[3] – ألو القاسم يعد الله ، محاضرات ...، المرجع السابق ص 21

تنفيل، مرحبا باي شـــخص جديد يعين محله في هذه الفترة الممتدة من 1806-1815م، حكم الجزائر 3 دايات وكل واحد منهم كان يســمي عليا، وقاتل احمد باشـــا بقي في الحكم الى غاية 1808م وهو على خوجة (غسول) وهذا الاخير قتل خنقا 1809م

وهذه الظروف ادت الى تدخل الباي مصـــطفى بعدة رســـائل كانت اخرها المؤرخة بتاريخ 12اوت1802م الموجهة الى نابليون بونابرت فأعطى هذا الاخير الاوامر لاتخاذ اجراءات التسديد الى ان ظروفا بالجزائر و فرنسا حالت دون ذالك، فبينما كانت فرنسا في خضم حروبها النابليونية لأوروبا التي لم تنتهي الا في معركة واترلو 1815م[1] .

وعشية سقوط نابليون وعودة اسرة البوربون الى العرش الملكي الفرنسي كان ملف العلاقات الجزائرية الفرنســية من بين كل الملفات التي تشــغل فرنســا وقد رحبت الحكومة الجزائرية بالنظام الجديد الذي قام في فرنسا، واضطرت السلطات الجزائرية في شهر اكتوبر 1814م الى وضع حد لمهمة القنصـــل ديبواتنفيل الذي عاد في شـــهر جوان 1815م ، معتمدا من طرف نابليون خلال الفترة المعروفة بفترة المائة يوم، لكنه وجد الابواب مقفلة في وجهه ولقد كتب الداي عمر باشـــا رسالة لبونابرت يعتذر فيها عن عدم قبول القنصل تانفيل في الجزائر[2] وفي اواسط 1814 اجتمع الساسة الاوروبيون في مؤتمر فيينا[3] كما ذكرنا سابقا في الفصل الثاني في عنصر معالم بروز القضية بالتفصيل وذألك من اجل محاربة القرصنة وتحريم الاتجار بالرقيق وفي هذه الاثناء كانت الجزائر مشغلة بثورة بن الشريف الدرقاوي التي قد اشتعلت لهيبها في الشرق الجزائر دامت من 1808 الى 1817 . وربما تكون هذه الظروف السياسية وانعكاساتها السلبية و الاجتماعية هي السبب تأجيل قضية الديون الى تاريخ لاحق وخلال هذه الفترة كانت فرنسا قد عينت قنصلا جديد في الجزائر بعد ابعاد "تانفيل "وهو جاك بير دوفال Duval في 25 اوت 1815 وقد حمل معه الى

---

[1] – فوزي سعد الله ، المرجع السابق، ص ص 311، 312.

[2] – جمال قنان ، نفسه، ص 200

[3] – يحيى بوعزيز ، الموجز ...، ص 108

الداي هدايا ثمينة تضم مجوهرات و اقمشة و اسلحة، و اعلن عن استعداده لتصفيات ديون بكري و بوشناق[1] .

لما هدأت الاوضاع واستقرت نسبيا في الجزائر ولما اعيد التحكم في الوضع بفرنسا، اعيد فتح ملف الديون . ثم تولي الداي حسين باشا(1818م- 1830م)ولاية الجزائر وقد واجه عدة ضغوط من فرنسا و بريطانيا بعد مؤتمر فينا لإلغاء الرق و ابطال دفع الضريبة المفروضة سنويا على البلدان الاوروبية وهناك اراء متضاربة حول شخصية الداي حسين، فمنهم يصفه بالمتهور، وبعضه يصفه بالشهم الامين و الحريص على عدم اراقة الدم البشري وقد عاد من جديد للمطالبة بديون الجزائر وتوصل الى امضاء اتفاقية يوم 18 اكتوبر 1819م فقد شكلت الحكومة الفرنسية لجنة بفرنسا في نفس السنة للنظر في هذه القضية بحضور ممثل عن الشركة اليهودية هو نيقولا بليفيل Nicolas Pléville ووافقت اللجنة بمقتضى الاتفاقية السابقة على تسديد 7 ملايين فرنكا فقط بدلا حوالي 17مليون فرنكا (16، 433، 130، 5)[2]

وتقرر دفعها في 12 قسطا كل خمسة ايام وفي 24 جويلية 1820م صدر قانون عن البرلمان الفرنسي بتخصيص 7 ملايين فرنك لتسديد الدين الى يعقوب بكري، وعندئذ واجهت فرنسا على ما قيل مطالب كثيرة يدعي اصحابها ان يعقوب بكري مدين لهم، ولذلك احالت الحكومة الفرنسية القضية الى المحاكم، ولكن معنى ذالك كله لن يحصل الداي حسين من يعقوب بكري على الديون المتراكمة عليه فارسل حسين باشا ثلاث رسائل الى الحكومة الفرنسية بشان دين بكري منذ 1824م وعندما لم ياتي اي جواب على اي منها غضب غضبا شديدا على فرنسا،

[1] – يحيى بوعزيز ، نفسه، ص 110

[2] – فوزي سعد الله ، نفسه، ص 310

وبعدها علم الحسين باشا ان الباستيون قد سلح رغم وعد الشرف الذي قطعه دوفال بشان عدم تحصين المراكز التجارية الفرنسية فزاد الخبر من غضب الباشا[1] .

وعلى الرغم من هذا الصراع ظلت الشركة اليهودية تواصل نشاطها في جميع موانئ الشرق الجزائري وتصدر ما تشتريه الى مرسيليا او ليفورن ومالطة كما انها كانت بحكم مكانتهم ومؤازرتهم لها، ترسل من حين لأخر شحنة من الحبوب الى جبل طارق لتمويل الحامية البريطانية هناك، وحين وقع الخلاف بين الجزائر و انجلترا سنة 1824م اراد حسين الداي ان يوجه في مجال السياسي، ضربة لخصومه فحتم على وكيل بكري و بوشناق السيد " اسكديرو " ان يعيد للفرنسيين محلاتهم[2] وكتب الداي رسالة الى ملك فرنسا شارل العاشر 26 اوت 1826م معلنا له فيها بسخطه وما كان يجده في نفسه من القلق حول الديون المترتبة على فرنسا نحو الجزائر، وما قامت به حكومته من تدعيم المركز الفرنسي بالقالة و حشده بالأسلحة و الذخائر ويعد ذلك بخرق الاتفاقيات، وبعد المكاتبة المتكررة من الداي كما ذكرنا سابقا، احاله الملك شارل العاشر على سفيره القنصل المشبوه دوفال وبقى ينتظر الجواب دون جدوى وقد وجه الداي حسين اتهاما الى القنصل الفرنسي دوفال بإخفاء رد فرنسا عنه وزاد في سوء التفاهم بينهما ان يعقوب بكري ادعى بانه دفع بعض النقود الى القنصل الفرنسي، فزاد في ذألك من عدم ثقة الباشا في القنصل الفرنسي، ولذا طلب من فرنسا استدعاء قنصلها ودفع ديون بكري للداي شخصيا، وعند اذن ايقن الداي بان امواله وجميع حقوق دولته ضاعت فيما بين تسويفات الحكومة الفرنسية ومخادعة وزيرها تاليران ودسائس الشركة اليهودية وحظوة مندوبها بباريس نيقولا بليفيل وتلاعب القنصل الفرنسي دوفال، وما يحدثه هذا من مشاكل وتعقيدات حول هذه القضية[3] فعندما زج بيعقوب بكري في سجن في الجزائر بامر

---

[1] – ارجمند كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر ، عبد الجليل التميمي، الدار التونسية للنشر، 1983، ص 74.

[2] – محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص 281.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي ، نفسه، ص 348

من الداي حسين، فانه كتب الى وزير الخارجية فرنسا البارون دي داماس BARON DI DAMAS يطلب منه ان يصفي حساباته المالية القديمة مع ممثله التجاري نيقولا بليفيل يوم 26 اوت 1826م دون علم القنصل الفرنسي رجاه فيها ان يحول المبلغ باسمه فدوفال قد عمل على زعزعة اسس العلاقات الجزائرية الفرنسية وكان ينوي ان يستولي مع بعض اصدقائه على هذا المبلغ مع بكري و بوشناق، في حين انه كان يجدد الوعد للداي بتسليمه اياها وقد ذكر حمدان خوجة ان دوفال كان يمنع وصول رسائل الداي الى فرنسا، مستعملا في ذألك طرقا مختلفة وقد استخدم في ذألك ابن شقيقة الكسندر دوفال كان نائبا في عنابة لتوتير العلاقات بين فرنسا و الجزائر[1]

ولهذا كان لليهود دورا كبيرا في المسالة تسديد الديون ولقد استلم ورثة بكري وبوشناق مبلغ 7 ملايين فرانك ولم يعطوا الايالة نصيبها وفي هذه الاثناء كشف الداي عن قائمة حساب كانت على اسبانيا ان تدفعها الى شركة بكري، وبعد استخلاص هذا المبلغ وزع على من كانت لهم ديون على بكري وبيعت جميع ممتلكاته في المزاد العلني 1826م[2] .

وليست هذه المرة الاولى التي تم فيها مصادرة ممتلكات يهودية، فاثر انتفاضة 1805م ضدهم تعرضت ممتلكات بكري و بوشناق الى المصادرة[3] وظلت مسالة الديون عالقة الى ان تطورت و اصبحت سبب في حادثة المروحة، والتي كانت فرنسا تهدف اليها[4] و التي سنعرف مجرياتها في هذا العنصر الا وهو حادثة المروحة وعلاقتها بالديون و احتلال الجزائر 1830.

---

[1] – شوقي عطاء الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا تونس الجزائر المغرب، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ض 2

[2] – نجوى طوبال ، المرجع السابق، ص 181

[3] – ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية في الكتاب، الجزائر، 1984، ص 35

[4] – أبو العيد دودو ، المرجع السابق، ص 73

- **علاقة الديون بحادثة المروحة واحتلال الجزائر 1830م**

كانت الجزائر منذ ثلاثة قرون قوة بحرية تسـيطر على غربي البحر المتوسـط وعلى اجزاء مختلقة من شواطئ المحيط الاطلسي الى غاية مجيء سنة 1827م لتعلن نهاية هذه السيطرة اثر حادثة المروحة التي ختمت العلاقة الودية بين الجزائر و فرنسا لقد حرست فرنسا على استغلال حادثة المروحة الى اقصى حد ممكن يتماشى مع متطلباتها ويرجع سبب الحادثة الى تفاقم الديون التي كانت في ذمة فرنسـا لصـالح الحكومة الجزائرية، و التي قدرت بحوالي 24 مليون فرانك فرنسي[1] و التي تقلصت بعد مداولات اللجنة التي شكلت لدراسة قضية الديون كما ذكرنا سابقا الى 7 ملايين فرانك فرنسي، حيث كان اليهوديان بكري و بوشناق، يقومان بالوساطة بين البلدين[2] ولما كان مدينين للحكومة الجزائرية بعد شراء القمح منها فقد قاما بالضغط على القنصل الفرنسي بيير دوفال لإعطائه نصيبا من الديون الفرنسية لتسديدها للحكومة الجزائرية غير ان بكري لم يمنح للخزينة الجزائرية فرنكا واحدا،

وهنا ادرك الداي حسـين المؤامرة التي احيكت ضـد الحكومة الجزائرية، وان طرفاها هما القنصل الفرنسي بيار دوفال بالجزائر، وتاليران بباريس و ادرك ان الاتصال بالحكومة الفرنسية عن قنصـلها لن يؤدي الى نتيجة مادام انه طرف من المؤامرة ، وهنا كما ذكرنا سـابقا قام الداي حسين بإرسال ثلاث رسائل الى الحكومة الفرنسية بشان قضية الديون غير انه لم يتوصل الى حل وتطورت القضية [3] حتى جاء عيد الفطر يوم 27 افريل 1827م / شوال 1243هـ حيث حضر القنصـل الفرنسـي دوفال الى قصـر الداي ليقدم تهانيه بالعيد كما جرت العادة و اغتنم الفرصـة فاستفسر عن مصير المركب الفرنسي الذي اسره الرياس لكن الداي عاتبه عن الاعمال المشينة

---

[1] – يحيى بوعزيز ، أوضـاع الجزائر في عهد الداي حسـين أخر دايات الجزائر 1818م – 1830م أوراق عن التاريخ، جريدة الحوار، 22 سبتمبر 1994

[2] – حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق، ص 148.

[3] – كمال بن صحراوي ، المرجع السابق، ص 168

التي تقوم بها شركة باريس في حصن باستيون في القالة التي توحي بان هناك عملا عسكريا يعد ضد الجزائر كما سأله الداي عن سبب رد الحكومة الفرنسية عن رسائله، ولقد كان من الواجب على دوفال ان يعمل على تهدئته . قام بالرد على الداي " ليس من العادة ان يخاطب الملك من هو ادنى منه وساطة " هذا جعل الداي يفقد صبره وضرب القنصل الفرنسي بمروحية كانت بيده و امره بمغادرة المكان واعتبرت فرنسا هذا العمل اهانة لشرفها او ما سمته شرف الملك[1]

وطلبت من الحكومة الجزائرية اذا لم تتلقى من الداي الترضية الكافية خلال 24 ساعة فان قواتها ستفرض الحصار على الجزائر، و في الحال شرعت فرنسا في تنفيذ خطتها العسكرية، ووجهت مجموعة من السفن البحرية بقيادة الضابط كوليت Collette الى ساحل مدينة الجزائر يوم 11 جوان 1827 ورفع مجموعة من المطالب لم يقبلها الداي، هذا ما ادى الى حصار مدينة الجزائر استمر ثلاث سنوات[2] فظاهريا لقد كانت حادثة المروحة هي التي ادت الى تازم العلاقات بين الجزائر و فرنسا كما سبق ان ذكرنا لكن من الناحية الواقعية ان لوضعها الداخلي دور كبير في اعداد الحملة ذلك ان ملك فرنسا شارل العاشر مؤيد نموا الافكار الجمهورية في اوساط المجتمع قبل الانتخابات . فهذا مؤشر لإمكانية قيام ثورة تسقط النظام الملكي فألغى الصحافة جرد الطبقة الوسطى من حق الانتخابات بل وذهب الى اكثر من هذا الى التفكير في اعداد حملة عسكرية ضد الجزائر من شانها صرف الانظار عن الوضع السياسي الداخلي و اسكات المعارضة[3]

ومن الجانب الديني جاءت الحملة الفرنسية امتداد للحروب الصليبية حيث كان الفرنسيون يهدفون الى تنصير شمال افريقيا بعد طرد المسلمين من الاندلس بل برروا عملهم هذا باعادة المسيحية الى افريقيا بدعوى ان هذا الدين كان سائدا هناك[4] كما تعاونت عدة جهات فرنسية لمحو

---

[1] – يحيى بوعزيز ، علاقات ...، نفسه، ص 130

[2] – يحيى بوعزيز ، علاقات ...، المرجع السابق، ص 13.

[3] – عمار بوحوش ، التاريخ السياسي، للجزائر من البداية إلى غاية الاستقلال 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص81

[4] –أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و أراء ...، مرجع سابق، ص 27

الجذور العربية الاسلامية للشعب الجزائري، و التحكم في خيراته و اذلاله حتى يبقى خاضعا لهم الى الابد وقد افصح عن هذا الاتجاه ملك فرنسا شارل العاشر ان التعويض الحاسم الذي اريد الحصول عليه وانا اثار ..." بقوله لشرف فرنسا ان يتحول بمعونة الله لصالح المسيحية" ونفس التعبير نجده في التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسية كليترمون الى مجلس الوزراء الفرنسي يوم 14 اكتوبر 1827 [1] حيث قال شارل العاشر : " لعله مع الوقت سيكون من حضنا ان نمدهم وذلك بجعلهم مسيحيين " [2] لقد لعب الجانب الاقتصادي دورا مهما في قدوم شارل العاشر الى الجزائر و لعل الدوافع الاقتصادية و المالية هي التي حركت الاسطول الفرنسي نحو الجزائر فالملك الفرنسي كان يريد استرجاع سيادة ملكه عبر الانتخابات، ولم يكن قادرا على خوضها دون اموال يشتري بها اصوات الناخبين، وولاء المعارضة وهو ما دفعه الى تكليف دوبورمون لقيادة حملة على الجزائر التي كانت تنام على كنز مهول حددت قيمته ما بين 150 و 350 مليون فرانك [3] في هذا الصدد صرح دوبورمون ان الفوائد التي تعود الى فرنسا من غزو الجزائر بغض النظر عن ملايين الفرانكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية اسمى و انفع من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الان فهناك سهول طيبة ومناجم غنية[4] .

ومن هذا التصريح لقائد الحملة العسكرية الكونت دوبورمون يمكن ان نستنتج ان الدافع الاقتصادي هو من اهم الدوافع لإعداد الحملة ذلك لسببين هما : ان الفرنسيين سيعوضون تكاليف الحملة من الاموال و الكنوز الموجودة في الخزينة، و ان الوضع الذي توجد عليه الجزائر من حيث كونها تتوفر على ارض زراعية واسعة وسهول خصبة تساعد امداد فرنسا بكل ما تحتاجه من قمح و منتجات زراعية، وهو ما جعلها بعيدة عن الازمات الاقتصادية التي كانت تعصف بها قبل

---

[1] – أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 4، ط10، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1995، ص 335

[2] – عمار بوحوش ، نفسه، ص 81.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق، ص 383.

[4] – عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون و العالم المتوسط، مقاربات جديدة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الجزائر، 2003، ص 289

الاحتلال ومن جهة ثانية توفرها على مناجم من شانها تحريك المصانع الفرنسية التي تحتاج الى مواد اولية بعد الثورة الصناعية ونتيجة لهذا فان فرنسا تحتاج الى سوق لتصريف منتجاتها الصناعية فوجدتها في الجزائر التي تعتبر مفتاح لإفريقيا غايتها المنشودة كما كان للدفاع الاستراتيجي دور في اعداد الحملة الفرنسية على الجزائر، وذالك لتامين مصالحها بالمنطقة[1] .

ونستخلص من هذه التي ذكرناها ان هناك عدة اسباب حقيقية دفعت بفرنسا الى شن هجوم على الجزائر واحتلالها وان حادثة المروحة ما هي الا ذريعة لمحاصرة الجزائر، ويظهر هذا بوضوح في تصرف القائد كوليت الذي ارسلته فرنسا على راس قوة بحرية يوم 11 جوان 1827 لمطالبة الداي بتقديم الاعتذارات الى قنصل فرنسا بالجزائر على ظهر سفينة فرنسية، ويرفع علم فرنسا فوق حصون مدينة الجزائر وعلى الاخص فوق قصر الداي، وفي مقر البحرية تم توجيه التحية الى العلم الفرنسي بمائة طلقة مدفعية جزائرية، وقد انذر الضابط الفرنسي الداي بان عدم الاستجابة لهذا المطلب في ظرف 24 ساعة يعني اعلان الحرب على الجزائر، وبالفعل رفض الداي حسين هذه الشروط المجحفة و المهينة واعتبرها اذلالا له ولبلده ففرضت فرنسا الحصار على الجزائر في 26 جوان 1827 [2] في هذه الاثناء تريد فرنسا اشراك محمد علي والي مصر في تحقيق مشروع الحملة وفي 10 اوت 1829م عاد هذا المشروع الى الواجهة مرة اخرى وكان هدف هذا المشروع هو غزو دول المغرب البحرية الثلاثة (تونس، الجزائر، ليبيا) فتحقق فرنسا ذالك دون اللجوء الى قوتها العسكرية موافقته المبدئية، وكان قد طلب مقابل اقدامه على غزو الجزائر اربع سفن ذات ثمانين مدفعا، وفي مقابل هذا وزير الخارجية الفرنسية يرى ان نجاح المشروع بولينياك مرتبط بثلاث نقاط هي :موافقة حياد محمد علي وحياد وانجلترا وكذا قبول الباب العالي للمشروع

[1] – عباسي عيشة ، الحملات الأوروبية على الجزائر من خلال مذكرات احمد شريف الزهار نقيب الأشراف 1754م – 1830م ، مذكرة شهادة ماجستير، جامعة الجلفة، 2012، ص 15

[2] – عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص ص 89، 90.

لقد فشلت هذه المفاوضات بسبب الشروط الباهظة التي اشترطها محمد علي وكذالك بسبب تخوف من قيام الانجليز و الباب العالي، بمنع الاسطول المصري الوصول الى الجزائر[1] ولذلك انفردت فرنسا وحدها بالحملة، ولقد سقطت الجزائر بسهولة في ايدي الفرنسيين يوم 5 جويلية 1830 فالداي حسين كان يعتقد ان الجزائر محصنة ، وان جيشها النظامي الذي كان لا يتجاوز 6000 جندي تركي قادر على مواجهة الفرنسيين في حالة هجومهم على موانئ الجزائر المحصنة ولكن عندما تاكد نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830[2] شعر بالخوف على نفسه وعلى سلطته، وفي 19 جوان 1830 كانت اول معركة انتهت بين الطرفين انتهت بهزيمة الجزائريين سميت بمعركة سطاوالي وبعد ذالك تقدم الفرنسيون نحوا مدينة الجزائر التي دخلوها يوم 4 جويلية 1830 وهو ما دفع الداي الى الاستسلام، وعقد معاهدة مع فرنسا يوم 5 جويلية 1830، وقد نصت هذه المعاهدة على تسليم كافة قلع مدينة الجزائر وحصونها الى الجيش الفرنسي وان يتعهد القائد الفرنسي بترك اموال الداي حسين و السماح له ولعائلته بحرية التنقل تحت حراسة فرنسية وحرية ممارسة الدين وعدم التدخل في الممتلكات و التجارة وصناعة السكان ورحل الداي عن مدينة الجزائر وتوجه في يوم 10 جويلية 1830 الى نابولي بايطاليا ثم التحق بفرنسا واخيرا توجه الى الاسكندرية حيث اقام فيها حتى يوم وفاته ودفن بها سنة 1834م وبعزل الداي بواسطة الجيش الفرنسي واجباره على الاستسلام وبذالك انتهى الحكم العثماني في الجزائر الذي دام اكثر من ثلاث قرون 326 سنة[3] .

---

[1] – يحيى بوعزيز، قضايا ودراسات في التاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية الدولية، دسوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص 355.

[2] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 90، 91

[3] – عمار بوحوش ، التاريخ السياسي، للجزائر من البداية إلى غاية الإستقلال 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 100

سير الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر:

في الوقت الذي كانت فيه الدبلوماسية الفرنسية تقود حملة دعائية من اجل اقناع الدول الاوروبية لاسيما انجلترا بأهمية مبررات الحملة العسكرية الانفرادية التي تود شنها على الجزائر، كان الملك شارل العاشر يتابع عن كثب التحضيرات للحملة، وكان قد اعاب على تصريحات قائد السفينة الحربية الملازم الاول دوبوتي، تدارس شرحه بصورة تحمل الكثير من الدقة بما يفيد امكانية نقل ترسانة عسكرية هامة للإجهاز على الجزائر وتنفيذ مشروع الحملة انطلاقا من ميناء طولون باتجاه سيدي فرج كما لم يخف ملك فرنسا حيرته الى من سيحمل هذه المهمة الصعبة فرد عليه توراس بقوله: «جلالة الملك ان تفضلتم يا سماحة الملك يوجد ضمن رجالات الجيش الفرنسي كثير ممن هم قادرون على تولي هذه المهمة بضمان النتائج المرجوة ولكم في قائمة القادة العسكريين العاملين اسماء كثيرة ....»[1]، غير ان الملك اصر على ان يقترح عليهم اثم معين، مع اعطائه مبررات الانتقاء، فنجاح الحملة مرهون بالاختيار الاحسن للقيادة.

ولكن مشاريع اعداد الحملة ظلت تكثر يوما بعد يوم، فقد كلف الضابط دوبتي DUPOTIT بإعداد مشروع لمهاجمة الجزائر من البحر، ولكن الحكومة الفرنسية لم تأخذ ايضا ثم تولى اعداد مشروع اخر وزير الحربية عندئذ، الكونت كليرمونتونير C.Tonnerre والواقع انه اعتمد على مشروع بوتان السابق، وقد راى تونير ان الحملة الفرنسية ضد الجزائر ضرورية وممكنة في نفس الوقت، وكان في تقريره النهائي بعض العواطف الدينية الواضحة، فقد وصف الحملة بانها حرب صليبية، هياتها العناية الالهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره "الله ليثار من اعداء الدين و الانسانية" و يغسل الاهانة التي لحقت بالشرف الفرنسي[2].

وبعد ان وافق الملك الفرنسي شارل العاشر على قرار الحملة العسكرية على الجزائر اصدر وزيره الاول بولينياك بيان للدول الاوروبية قال فيه :لا بد من توضيح هدف فرنسا من الحملة ان

---

[1]– Gabriel Esquer ، LapriseD'alger1830 librairie La Bose paris1929 P 126.

[2]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 26.

للحملة هدفين رئيسيين يتعلق اولهما بفرنسا وحدها وهو الانتقام للكرامة الوطنية و حماية المؤسسات التجارية التي كان لها امتيازات في الشـــرق الجزائري، ومطالبة الداي بتعويضـــات عن الخســـائر والاضرار التي ما انفك قراصنته يلحقونها بالتجارة الفرنسية، اما الهدف الثاني فيخص اوربا باسرها وهو منع الرق والقرصنة والاتاوات التي ما زالت بعض الدول الاوروبية تدفعها الى حكومة الجزائر، وتمضي مذكرة الحكومة الفرنسية فتعلن انه اذا تمخضت الحرب عن سقوط نظام الداي،فان فرنسا مســـتعدة لدعوة حلفائها لعقد مؤتمر دولي يناقش طبيعة الحكم الجديد الذي يمكن ان اقامته في الجزائر لخير المسيحية جمعاء.

وقد ترشح عدد كبير من الجنرالات الفرنسيين لقيادة الحملة على الجزائر ابرزهم وزير الحربية نفسه الجنرال دبورمون، وكان وزير الدفاع السابق كليرمون دي تونير يعلم منذ عام 1827 بإسناد قيادة الحملة على الجنرال المذكور، فقد خاطب تونير ذات يوم بورمون بقوله: «**عزيزي الجنرال، هناك على ساحل افريقيا تنتظركم عصا الماريشالية، لقد رجوت جلالة الملك ان يأمركم بالذهاب لتأتوا بها، وان الملك مســتعد ان يفعل ذلك**» وعندما طلب المرشـــال ديق دي راقوز (Dac De RAGUS) من رئيس الوزراء بولياناك ان يســـند اليه قيادة الحملة على الجزائر اجابه: «انكم لا تجدون اي معارضـــة وتحدث من قبل الملك، واني انصـــح لكم بمقابلة الســـيد لدوفانالیه (La DAUPHIN)».[1]

لقد استحوذت فكرة الاحتلال على مشاريع بعض القادة الفرنسيين حتى ان بعضهم لا يتمالك نفســه فيصــرح بانه ســيتحول الى راهب اذا لم يتحقق في اســتعمار الشــعب الجزائر، فهذا الدوق دوراتون يخاطب لدوفان: «**سيدي اذا لم تستند الى قيادة هذه الحملة، فاني سابتلي ابتلاء عظيما وليس علي حينئذ الا ان اتحول الى راهب**».

[1]- محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنســـية 1791-1830، المؤســـســـــة الوطنية للعنوان المطبيعة، الجزائر،2009، ص ص 167-168.

غير ان الحملة لا يقتنع بجدواها الفرنسيون كلهم فهذا الجنرال بيرتي(PERTI)يربط بين مشكلة الجزائر والوضع السياسي السائد في فرنسا انذاك فيقول:«...**اننا ذاهبون الى الجزائر في مناوشة صغيرة مع الداي،اما الحرب الحقيقية فستكون عند عودتنا الى فرنسا**»[1].

اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي يوم 30جانفي 1830وقرربعد دراسة استمرت اربع ساعات القيام بحملة ضد الجزائر، واقر الملك (شارل العاشر)مشروع الحملة يوم 06فيفري واصدر مرسوما ملكيا بتعيين (الكونت دي بورمون) قائدا عاما للحملة والاميرال (دوبيري) قائدا للأسطول وفي يوم 12مارس 1830م، احضرت الحكومة الفرنسية السفراء الاجانب المعتمدين في باريس بمذكرة رسمية عزمها على توجيه حملة عسكرية ضد الجزائر وذلك لحل الازمة المتفاقمة والتي وصلت ذروتها بالحصار المرفوض على الجزائر منذ يوم 16يونيو1827م وكان العرش الفرنسي في حاجة الانتصار العسكري يحمل هدفا كبيرا هو الانتقام للمسيحية اما الذريعة فكانت موجودة (بضربة مروحة الداي)[2].

ولهذا الغرض ارسل بولينياك مذكرة الى ملوك اوروبا نص فيها على اهداف الحملة بانها تهدف من وراء ذلك على القرصنة الجزائرية واستئصال جذورها وتامين سلامة الملاحة في البحر المتوسط، والغاء استرقاق المسيحيين كليا والغاء الاتاوة التي تدفعها اوروبا الى الداي، وايدتها معظم الدول الاوروبية بتأثير الحقد الصليبي على العالم الإسلامي، عدا انجلترا التي ابدت بعض التحفظات بعد ان كانت من قبل اشد الدول معارضة للانفراد الفرنسي بالاحتلال[3].

جهزت فرنسا القوات العسكرية نفسها بأفضل تجهيز وانطلقت من ميناء تولون يوم 25ماي 1830على متن 500سفينةحربية تحمل 4000حصان ومدافع من مختلف الانواع الخفيفة والثقيلة

---

[1]– نفسه، ص 169.

[2]– بسام العسلي، المرجع السابق، ص 67-68.

[3]– عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من قبل التاريخ الى 1962 (الجزائر خاصة)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص212.

و37000عسكري منهم 3207من المتطوعين والباقي اغلبيتهم من المشاة متحمسين للغزو بدافع التعصب الديني من بينهم 1976ضابط مدربين احسن تدريب وذو خبرة وتجربة كبيرة في الميدان العسكري رفقة مدنيين من بينهم:16قسيسا و40مترجما وبعض الاشخاص من رجال الملك القنصلي ومن اليهود الجزائريين وعدد من الكتاب والرسامين والصحافيين وبعض الضباط الاجانب منهم روسيان ودانماركي واحد وثلاث المان وانجليزي واحد كمراقبين تحت قيادة كل من قائد الاسطول دوبري والقائد الاعلى للحملة الجنرال دي بورمون وهذا بالرغم من ان دي بورمون شخص مكروه من قبل الفرنسيين، وكانت الحكومة الفرنسية قد اعطت تعليمات مفصلة لدى بورمون مع ترك حرية التصرف الكاملة له في ادارة الحملة، وكانت هذه التعليمات تشير الى اهمية التعرف مسبقا على قوة العدو وحالته المعنوية وكذا كسب جانبا من السكان وان يوجه لهم نداء منشور بالعربية طبعت منه 400 نسخة يبين فيه اغراض الحملة بانها جاءت لطرد الاتراك ويدعوهم الى تجنب الاشتباك مع الجيش الفرنسي، وانكم انتم الذين ستولون الى بلدكم توقف الاسطول الفرنسي في جزر الباليار بسبب الاحوال الجوية السيئة، وفي 10ماي استأنف سيره نحو مدينة الجزائر ليصل اليها في 14جوان 1830،وعلى الساعة الثالثة صباحا من هذا اليوم نزلت القوات الفرنسية بخليج سيدي فرج على بعد 14كيلو متر غرب مدينة الجزائر[1].

نصب القائد العام الفرنسي "بورمون"مقر قيادتها في زاوية المرابط سيدي فرج، وكانت الزاوية تشرف على الخليج بكامله، وكانت تضم مسجدا صغيرا يحوطه جدار وبعض الغرف، وحول الزاوية كانت مزارع الشعير والحنطة واشجار التين والبرتقال والزيتون، تتوسطها نخلة وحيدة عالية، وداخل المسجد صندوق ذخائر سيدي فرج المرصع بالفضة والمرجان، وكانت ترفرف فوق المسجد اعلام وقطع ملونة من القماش الحريري.

وقد استقر كل احد من الفرنسيين حيث شاء فقد نصب بورمون قيادته في المسجد نفسه الذي اصبح له بمثابة مجلس وزارة غرفة نوم في نفس الوقت.

[1]– عمار عمورة، المرجع السابق، ص 213.

كان حسين باشا على علم بتفاصيل الحملة قبل وقوعها، ولكن يبدو انه لم يكن على علم بمكان نزولها، فقد كان يعتقد انها لن تتعدى الضرب من البحر شانها شان الحملات الاوروبية السابقة وما دام قد خص الواجهة البحرية فانه لا خوف عليه من عواقب الحملة ومن جهة اخرى كان لايزال على الاعتقاد بان الفرنسيين لن يتخلوا عن فكرة التفاوض رغم استعدادهم للحملة.

ولكن حيث بلغ حسين باشا ان جيشا فرنسيا قد نزل فعلا في سيدي فرج وانه في طريقه لضرب العاصمة من البر اخذ الخوف، فجنوده الانكشاريين الذين كانوا يشكلون جيشه النظامي لم يكونوا يتجاوزون 6000 رجل، وهي قوة صغيرة لا تكفي حتى للإبقاء على الامن و النظام محليا، وامام هذا الوضع رفع الجزائريون رؤوسهم التي كانت مطاطئة وبدؤوا يعتدون على الجنود الاتراك في الليل ويلوذون بالفرار وحيث اشتكى الجنود الى الباشا نصحهم بغض النظر[1]، لقد كتب حسين باشا الى القبائل والعرب يخبرهم بالنوايا العدوانية التي يضمرها لهم الفرنسيون، ويامرهم بان يستعدوا ويكونوا رهن الاشارة فأجابوه انهم مستعدون وبانهم لا ينتظرون سوى اوامر الباشا ليسارعوا الى نصرته، كما ان حسين باشا كتب الى باي وهران واوصاه بتحصين مدينته وباليقظة وامر باي قسنطينة بتحصين ميناء عنابة[2].

وفي سنة 1830ذهب احمد باي الى مدينة الجزائر لأداء الدنوش او الزيارة الاجبارية التي يؤدها الى الباشا جميع البايات مرة كل ثلاث سنوات: «...**ومع ذلك كان الداي حسين قد اخبرني بمشاريعهم في رسالة ذكر لي فيها انه يجب ان اهتم بعنابة فقط**»[3].

وبما ان هذه الاخير لم يات الى الجزائر منذ ثلاث سنوات، فانه امره بالمجيء وفقا لما جرت عليه العادة ودون ان يزعج القبائل، وامر الباشا، كذلك باحصاء العمال في مدينة الجزائر وبان

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 35–36.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبيعية، الجزائر، 2006، ص 149.

[3]– الحاج أحمد باي، مذكرات ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973، ص11.

يرسل الى الحصون للمساهمة في مناورات المدفعية، جميع القادرين، وبان يعين قائد راس كل فيلق[1].

- ردود الفعل الجزائرية على الحملة الفرنسية

1- نزول الجيش الفرنسي واستعداداته للمعركة:

في يوم 14 جوان 1830م نزلت القوات الفرنسية في سيدي فرج بدون اي مقاومة كانت هناك بعض المدافع التي نصبت عند بداية التوتر بين الدولتين لكنها لم تكن كافية لمواجهة او لصد الاسطول الفرنسي[2].

ولقد اشتملت الحملة على ما يزيد عن ستمائة مركب وفيها من البوارج الفرنسية 123 بارجة مختلفة الشكل، و383 مركبا للشحن وعدد كبير من السفن التجارية التي ساعدت بها كل من دولة ايطاليا والنمسا وروسيا واسبانيا على سبيل الاجارة كما سمحت هذه الاخيرة الاسطول باتخاذ جزر الباليار كمحطة لها وقد ضم هذا الاسطول سيع سفن بخارية فقط اما الباقي فكانت سفنا شراعية، وكان عدد الجيش المقاتل 37617 نسمة منهم 27000 بحارة و4000 من الفرسان ومن المتطوعة 3207 والباقي من تمام عدد الجنود المشاة ومعهم من المدافع الثقيلة والخفيفة ما يبلغ 2968 مدفعا وذلك علاوة على ما تحمله معها هذه الاساطيل من القناطير المقنطرة من السلاح الابيض واطنان من البارود، وكان في الحملة ستة عشر قسا كل منهم جاء للمشاركة بنصيبه من بعث الحماس الديني في الجيش وتنصير الجزائريين عن طريق التبشير المسلح، واما عن النفقات فقد بلغت 25000000 فرنك فرنسي[3].

1- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 149-150.

2-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص35.

3- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 381-382.

بعد نزول القوات الفرنسية في ميناء سيدي فرج، اقام القائد الفرنسي بورمون مقر قيادته في زاوية سيدي فرج حيث كانت الزاوية تشرف على الخليج بكامله، وكانت تضم مسجدا صغيرا يحيط به جدار، وبه بعض الغرف وحول الزاوية كانت مزارع الشعير والحنطة واشجار التين والبرتقال والزيتون، وبداخل المسجد كان هناك صندوق ذخائر سيدي فرج الذي كان مرصعا بالفضة والمرجان، فختار بورمون المسجد لإقامته ونومه وانتشر القادة في الانحاء الاخرى وقد اختار كل واحد المكان المناسب لإقامته، وقد بقيت القوات الفرنسية في مراكزها حتى يوم 19 جوان 1830 دونما اي محاولة للتحرك، حتى تقنع الجزائريين بضعف القوة الفرنسية وتغريهم بمهاجمتها جبهيا. وفي الوقت ذاته للإفادة من هذا الوقت من اجل ضم القوات الجديدة التي تصلهم من فرنسا، واثناء ذلك قام الجنود الفرنسيون بحفر الخنادق المتتالية لحماية معسكرهم، واختاروا لمدفعيتهم المرابض المناسبة.[1]

ولقد كان نزول المرشال دوبرمون صدفة وكان معرضا لأخطار جسام لأنه انزل الرجال قبل المؤن والمدفعية وظلت الامور على هذه الحال ثلاثة ايام بسبب الرياح المعاكسة التي كانت تبعد سفن النقل، وما من شك ان الجيش الفرنسي كان يمكن ان يهزم لو وقع نوع من التحضير لصد هذا النزول، هذا بالإضافة الى ان جيش وهران كان غير بعيد عن سيدي فرج تحت قيادة خليفة باي تلك المنطقة[2].

واثناء هذه الساعات الحرجة جاء جزائري يدعى احمد بن شنعان الى المعسكر الفرنسي للتعرف على ما اذا كان الفرنسيون قد جاءوا مستعمرين او محررين، وبعد قضاء ليلة واحدة تركوه يعود من حيث اتى بعد ان زودوه بنسخ من البيان الذي كانوا قد وجهوه الى الجزائريين اهالي المغرب العربي عامة، والذي يوضح ان الفرنسيين قادمون الى الجزائر للانتقام لشرفهم من الباشا وانهم سيعاملون الجزائريين كما عاملوا المصريين من قبل، وفي نفس الوقت توجه مترجم سوري في

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص35.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص153.

الجيش الفرنسي الى المعسكر الجزائري محاولا اقناع القيادة بالتفاوض مع الفرنسيين، ولكنه حمل من هناك الى حسين باشا الذي امر بقتاه بعد ان ظن انه يحاول التاثير عليه بوصفه للقوات الفرنسية بالكثرة والضخامة[1].

2-استعدادات الجزائريين للمعركة:

لقد كانت الغلطة الفادحة التي ارتكبها الداي وكلفته فقدان نفوذه وسلطته في الجزائر هي اقدامه على اعدام قائد جيشه البارع الاغا يحيى الذي شغل هذا المنصب مدة 12 سنة في عهد الداي حسين فقد كان القائد من اكفا القادة العسكريين في عهد الدايات وهو الذي دعم سلطة احمد باي في شرق البلاد ويحظى بمحبة الجنود العرب والقبائل ولكن الخزناجي غار من القائد يحيى وخشي ان يكون دايا في يوم من الايام، قام بتقديم تقارير كاذبة الى الداي، اتهم فيها الاغا يحيى بانه ينوي القيام بانقلاب ضد الداي وانه وعد بعض الاشخاص بإسناد مناصب وزارية اليهم في حالة نجاح خطته الانقلابية، فاغتاظ الداي وامر بنفي قائد الجيش واستبدله بصهره " **ابراهيم** " الذي لا يفهم شيئا في فن الحرب او قيادة الجيش[2].

وخشي المتآمرون ان تكتشف افعالهم، وان يعود منافسهم الى الحكم فحاكوا خيوطا جديدة واتهموه بانه يتفاهم مع مختلف رؤساء العرب والقبائل، وان هؤلاء الرؤساء كانوا يزورونه ليلا، وانه كان يعقد الاجتماعات في بيته لمهاجمة الجزائر وللاستيلاء على الحكومة وتعيين نفسه على راسها وبالاعتماد على هذه المزاعم قدمت وثائق مزيفة تشبه الحقيقة وتم اقناع الباشا بان الاغا السابق يحيى خائن فامر بإعدامه سنة 1827، من السهل ان ندرك لعد هذه التفاصيل بانه لو كان يحيى اثناء هذه الحرب الاخيرة على راس الجيوش الجزائرية لكان سير الامور احسن لان التجربة التي

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 41.

2-عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص 92.

حصـــل عليها في البر والبحر وشـــجاعته في جميع الحالات، كلها كان يمكن ان تشـكل ضـــمانا بالنسبة للجندي الذي يحارب تحت امرته[1].

تولى القيادة بعد يحيى صـهر حسين باشـا وهو الاغا ابراهيم وقد كان ابراهيم هذا عاجزا عن اداء مهمته، فهو لم يكتف بعدم القيام بأية استعدادات لصـد العدو بل انه عارض اقتراحات زملائه امثال احمد باي قسنطينة بعدم تعريض الجيش كله الى لقاء واحد مع العدو، ووجوب مقاومة العدو في حرب مناوشـــات وليس في حرب مواجهة، وكان ابراهيم يقول لهم دائما انه الوحيد الذي كان يعرف مناورات وتكتيك العدو الحربي، وقد تلقى كل جندي من ابراهيم عشر رصـاصـات فقط كانت في نظره تكفي للإطاحة بنصـــف الجيش الفرنســـي[2]،ويذكر حمدان خوجة: « ... **وزعت على كل جندي عشـرة خرطوشـات، لم ادر ماذا اقول عندما رايت هذا الاغا يهذي بهذه الكيفية، ومع ذلك سالته ماذا يصنع الاجناد عندما يطلقون الخرتوشات العشرة فاجابني بان تلك الكمية كافية لقتل نصف الجيش الفرنسي وبعد ذلك لن يكون في حاجة الى توزيع البارود** ...»[3]

وقد رفض مقترحات احمد باي الذي لاحظ بان من الصـــعب على الجزائريين التمركز في موقع واحد والتغلب على الجيش الفرنسـي، حيث من الافضـل حسـب رايه ان توزع بحيث ينقل جزء منها الى غرب سيدي فرج وعند اتجاه الجيش الفرنسـي الى مدينة الجزائر سنقض الجيش الجزائري عليه من الوراء ويتم الاسـتيلاء على مؤنهم، ومهاجمة قوافلهم وقطع الاتصـــال بينهم وبين مراكبهم وانتقد الباي احمد خطة ابراهيم وقالبان خطة لا يمكن تنفيذها في الحين لان اقامة الحصون لا يتم بسـرعة لقلة الوسـائل المتوفرة لفعل ذلك، حيث لا توجد في سـيدي فرج سـوى قلعة قديمة مخربة يحتاج اصـلاحها الى شـهور كاملة، ومن المستحسن عدم انهاك الجيش لصـد نزول الفرنسيين بل المقاومة والهجوم مباشرة وعرقلة النزول فان اقامة الحصون والتراسين ستقضي عليها نيران المراكب

1- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 151.

2-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص38.

3- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 155.

الفرنسية بسهولة[1]، وكذلك انتقد وضعية الجيش بقوله ان وضع القوات على ماهي عليه سيكون مرشدا للقوات الفرنسية في زحفها نحو العاصمة ونادى بضرورة العناية بالجيش وان يأخذ كل قائد مجموعة منه ويعدها اعدادا كافيا[2].

ويذكر حمدان خوجة انه اقترح على الاغا ابراهيم ان يحفر الخنادق لحماية الجيش والدفاع عنه اجاب نحن نشكل الخنادق الحقيقية ومن المؤسف الا نعرف كيف نحمي انفسنا، فرد عليه ان الخنادق ستكون على الاقل لتغطية المدفعية لأنها امام مدفعية العدو ومن الواجب حمايتها، وعلى اثر الملاحظة الاخيرة اعطى امرا في الحين بنشر اعلان في الجيش يطلب فيه من كل عربي غير مسلح ان يأتي للأغا قصد تزويده ونتيجة لهذا الامر اجتمع عنده عدد كبير من الاجناد وبدلا من الاسلحة اعطاهم الفؤوس لحفر الخنادق وبالفعل لقد تم خلال تلك الليلة، حفر خندق لم يستعمل في الواقع لأي شيء[3]، ولم يكن مفيدا في النهاية فلم يحم المدافع ولم يعرقل سير تقدم العدو[4].

ولهذا فان تعيين الاغا ابراهيم على راس الجيش قد مهد الطريق للاحتلال الفرنسي، فالقائد الجديد لم يتخذ اية اجراءات محددة لمواجهة الغزاة الفرنسيين وانما قام بتصور خطة تقضي بإعطاء اوامر للقبائل العربية الذين سيكونون بجانبه لكي يطوق الجنود الفرنسيين ويقضي عليهم[5]؛ وقد عين هذا الاخير قائدا للجيش اثر ضرب السفينة الفرنسية "لابروفانس" في 3 اوت 1829، وقد سلمت له عندئذ خطة الفرنسيين في الهجوم قواتهم وعدد جنودهم ومدافعهم، ومع ذلك لم يستعد لاي شيء وكان يدعي ان الجزائريين القبائل سيرغمون الفرنسيين على الفرار منذ نزولهم على الارض كما سبق الذكر، ولكنه لم يصدر اوامره بهؤلاء الجزائريين لكي يأتوا من بواديهم لمواجهة العدو في سيدي فرج فكان كل جيشه مكونا من اهالي متيجة الذين لا يعرفون سوى بيع الحليب كما قال

1- أحمد باي، المصدر السابق، ص ص 12-14.
2- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 40.
3- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 155.
4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 41
5- عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص92.

خوجة، وكان ابراهيم يدعي ان لديه 5000 من المغامرين سيذهبون ليلا الى معسكر العدو ويشيعون فيه الفوضى والاضطراب حتى يقتل الفرنسيون بعضهم بعضا، اما اهل جرجرة فقد تخلوا عن ابراهيم ذهبوا في حالهم لأنه لم يعطهم لا ذخيرة ولا مؤونة[1].

عندما علم الداي حسين بالحملة الفرنسية جمع ديوانه العسكري واستشار رجاله في الامر فقر رايهم على ان يتركوا الفرنسيين وشانهم في سيدي فرج حتى يكملوا انزال قواتهم واعتدتهم ووسائطهم القتالية، ثم ينقضوا عليهم بمجموعهم ما هو موجود الان وما هو قادم من الداخل فيقذفون بالفرنسيين في البحر فيتخلصوا بذلك منهم ويغنموا اموالهم وذخائرهم وعندئذ تقرر اقامة معسكرين لحشد القوات في "مصطفى والي" و"اسطاوالي" وهما يبعدان 5 كيلومترات عن جنوبي شبه جزيرة "سيدي فرج"، واقام قائد الجيش ابراهيم اغا في اسطاوالي ولكنه لم يحاول تنظيم القوات التي وردت اليه من سكان سهل متيجة واهالي جرجرة، وكانت القوات تذهب كل يوم الى معسكر الحراش الذي كان يبعد مسافة اربع ساعات من اسطاوالي وتعود كل صباح[2].

وقد ارسل حسين باشا المراسيل الى داخل البلاد يدعون الى الجهاد ضد الفرنسيين، وقد استجاب لندائه الرسميون والاهالي على سواء، فوعده الحاج احمد باي قسنطينة بـ 30000 محارب، ووعد حسن باي وهران بـ 6000 محارب بقيادة الخليفة، نظرا لكبر سن الباي، ووعد مصطفى بومزراق باي التيطري بـ 20000 محارب، وجمع شيوخ جرجرة بين 16 الف و18 الف محارب، وجمع اهالي ميزاب حوالي 4000 محارب،[3] قام الاغا ابراهيم صهر الداي حسين بجمع قياد الجيش لعقد مجلس لتحديد خطة الدفاع وحظر المجلس الباي احمد ومصطفى باي التيطري وخوجة الخيل وخليفة باي الغرب، وكانت الندوة في مكان قريب من سيدي فرج وابتدا الاغا ابراهيم بقوله: « **يجب بناء حصون على شاطئ البحر وتزويدها بمدافع قوية حتى نمنع الفرنسيين من**

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، 38.

2- نفسه، ص 40.

3- نفسه، ص39.

النزول »، ولكن الباي احمد اجاب بان هذه الخطة لا يمكن ان تنجح لانها تتطلب وقت طويل لتنفيذها، وقدم خطة محكمة وهي تمديد مدة الحرب وعدم الصدام المباشر مع الجيش الفرنسي[1] لكن الاغا ابراهيم رفض الخطة وبدا ببناء المتاريس بسيدي فرج ولكنها لم تسلح الا بمدافع خفيفة لعدم وجود العربات التي يمكن ان تحمل المدافع ذات العيار الكبير.[2]

ورغم هذه الاستعدادات الظاهرية فان الواقع كان يكشف عن بعض الاخطاء، فبدلا من ان يستعمل حسين هذه القوات في صد الهجوم الفرنسي من سيدي فرج ابقاها بعيدة عن العاصمة بعدة كيلومترات، كان حسين باشا يعتقد ان القصبة لا تهزم وانها تستطيع ان تقاوم عدة سنوات ولم يدعم معسكراته سوى ببعض مئات من الجنود، ولكنه حصن الميناء وزوده بثلاث سلاسل على الاقل نصبت خلفها المدافع، وفي اليوم الذي نزل فيه الجيش الفرنسي في سيدي فرج لم يكن هناك لا مدافع ولا خنادق[3].

عندما كان الاغا ابراهيم يجابه الموقف بمثل هذه الاستعدادات البدائية وعندما كان الداي حسين باشا يعتمد على تقديراته المتفائلة اكثر من اللازم، كان العالم كله يعرف ان حملة فرنسا قد باتت وشيكة حتى ان القناصل المعتمدين في الجزائر اتخذوا كل التدابير الضرورية لحماية انفسهم وممتلكاتهم من اعمال الفوضى والنهب التي قد يقوم بها الانكشارية وقطاع الطرق من الجزائريين[4].

ودائما لتشجيع المعركة واثارة طمع القبائل وعد حسين باشا بانه يعطي مكافاة خمسمائة فرنك لكل من يحمل راس احد الاعداء وكلف الاغا بحساب هذا المبلغ وجمع الايصالات من اصحابها بعد تقديم الادلة المقنعة وبدلا من ان يعمل بإرادة سيده ويدفع المكافاة الموعودة، فانه كان يرد الجنود طالبا منهم ان يعودوا بعد المعركة لتقاضي مالهم[5]، ولقد رفض الاغا ابراهيم معاقبة جندي

1- أنظر، الحاج أحمد باي، المصدر السابق، ص ص 13-14.

2-نفسه، ص15.

3-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 39.

4- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 71.

5- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 156.

انكشاري قتل جزائريا لكي يبيع راسه في المدينة على انه راس جندي فرنسي، وقد اثار هذا الحادث حفيظة الجنود الجزائريين الذين كانوا في جيشه.[1]

وقد كان الجيش المحاط بالأغا مكونا من ســـكان متيجة، ومن الملاحظ ان القبائل العربية التي وصلت الى الجزائر العاصمة لم تكن لديهم المؤونة والذخيرة ولم يكن بإمكانهم شراء ذلك على نفقاتهم الخاصـــة، وهذا ما دفعهم للعودة من حيث اتو ويتركوا الاغا ابراهيم وحده، وبإيجازه فان الداي الذي كان على علم مسبق بخطة الفرنسيين، لم يأمر قائد جيشه بحفر الخنادق او نصب المدافع هناك والتصـــدي للأعداء بمجرد ان تطأ اقدامهم ارض الجزائر، وفي اليوم الذي نزل فيه الجيش الفرنســـي من بوارجه الحربية لم يكن بســـيدي فرج ســـوى 12 مدفعا، و300 فارس تحت تصرف صهره ابراهيم[2].

3-معركة اسطاوالي:

وفي صبيحة 19 جوان انطلقت القوات الجزائرية من موقعها عند معسكر اسطوالي مستغلة في ذلك كثافة ضباب الصباح، مما منع مدفعية الاسطول من التدخل، سارت الخطة في مرحلتها الاولى سيرا حسنا، لكن عند حدود العاشرة بدا الموقف يتغير، حيث ادركت القيادة الفرنسية الخطة وقامت بمناورة على الجناحين، تمثلت في محاولة تغليف مســـيرة الجيش الجزائري وقطعه عن مؤخرته والقيام في نفس الوقت بهجوم مضاد على هيمنته التي هي تحت قيادة ابراهيم اغا، وعندما اخترقت الجبهة في هذا القطاع انفلتت زمام المعركة من بين ايدي القيادة، فلم يعد هناك جيش، لقد تحول الى غوغاء وحشود مذعورة ناجية بنفسها لا تلوي على شيء وتحول الوضع من مجرد خسارة معركة الى هزيمة[3]، ثم تراجع الجيش الجزائري الى سهل اسطاوالي لانتظار الفرنسيين وبسرعة تم

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 41.

2-عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص ص 92-93.

3- جمال قنان، قضـايا ودراسـات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصـر، منشـورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 100.

بناء حصـون وتم تزويدها ببعض المدافع، ووزع حسـين باشـا عددا منها كذلك على الاعيان الذين كانوا يقودون الجيش وعلى الذين كانوا قادمين من المناطق البعيدة[1]، وبعدها قام الجيش الفرنســـي بالحاق بالجيش الجزائري الى ســـهل اســـطاوالي اين دارت معركة عنيفة اســـفرت عن هزيمة ثانية للقوات الجزائرية، فقدت فيها الالاف من رجالها ومدفعيتها وقســـم من اســـلحتها وبارودها، وتفرقت اثرها قوات القبائل الى اوطانها، بينما لم تتجاوز خسـائر الفرنسـيين حسـب بعض مصـادرهم 409 قتلى حتى 5 جويلية 1830[2].

وعندها التجا الداي الى الاســـتنجاد بحكومة جارتيه تونس والمغرب فلم ينتدبا لذلك ولم يلبيا نداءه اللهم الا ما نذكر عن باي طرابلس الغرب فانه اعلن الجهاد ضد الفرنسيين وامر باعلان ذلك على رؤوس المنابر في المســـاجد واذاعته بين الجمهور، ولســـوء خبرة الجيش الجزائري بالمناورات الحربية الحديثة وجهل ابراهيم اغا بأسـلوب القتال العصـري في الارض وعدم اضـطلاعهم وتدربهم جميعا على النظم العسكرية الحديثة التي كانت جنود الفرنسـيين متلبسـة بها انهزم الجيش الجزائري مرة ثانية في 25 جوان 1830، ثم تعقبه الفرنسيون الى حصن ابن جاريه فاستولى عليه مستحوذا على جميع ما احتوى عليه هذا الحصـن من عدة وعدد وذخائر وقد كلف الجيش الفرنسـي تسـعمائة قتيل، وبالرغم من المقاومة الشـــديدة التي ابداها كل من باي التيطري مصـــطفى بومرزاق بميمنة الجيش الفرنســي وباي وهران بمباغتاته لقلبه وما قام به الاغا ابراهيم من الاحاطة بالعدو والقضــاء على ميســرة جيشــه وعزل جيوش العدو عن شــبه جزيرة ســيدي فرج والحيلولة بينها وبين القوات الاحتياطية الفرنسية فان ذلك لم يجد كله نفعا واصبحت جميع ضواحي العاصمة خاضعة للفرنسيين في 30 جوان 1830[3].

1- أحمد باي، المصدر السابق، ص15.

2- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص 53.

3- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 388-389.

وامام ذلك عزل حسين باشا الاغا ابراهيم ودعا المفتي واعطاه سيفا وامره بجمع الشعب واقناع الناس بالجهاد دفاعا عن البلاد، كان المفتي رجلا فاضلا ولكنه كان صالحا للإفتاء لا لقيادة ومن جهة اخرى احاط به بعض رجال الحظر وحاولوا اقناعه بان الامل ضعيف في النجاح، وعلى اثر ذلك فقد تولى قيادة الجيش الباي مصطفى بومرزاق[1]، ورغم ذلك صمدت القوات الجزائرية فمنعت الجيش الفرنسي من التقدم فاصبحوا يتقدمون الى العاصمة على نسبة كيلومترا في اليوم الواحد حيث مكثوا 22 يوم لقطع مسافة 24 كيلومتر من سيدي فرج الى العاصمة[2]، حتى وصلوا في 4 جويلية الى "برج مولاي الحسن، الواقع على مسافة 1700 متر من القصبة العليا ويشرف على العاصمة، وهو الحصن الوحيد الذي كان يحمي المدينة من الجهة الجنوبية والجهات البرية بصورة عامة، وسلطت عليه نيرانا شديدة فنسفه الخزناجي بعدما عجز الاتراك عن الاحتفاظ به، لئلا يستخدمه الفرنسيون لقصف العاصمة، فانفتحت طريقها بذلك امام الفرنسيين، واصبحت بين ايديهم[3].

وبعدما وقعت هزيمة اسطاوالي، غادر الاغا ابراهيم المعسكر وكله ياس، وترك كل شيء الخيم، فرق الموسيقى، الاعلام وجيشه بالكامل[4]، وقد كان اختفائه في دار ريفية وبدل ان يعزله الداي حسين في الحين ويعين خلفا له، ارسل حمدان خوجة اليه الذي كان موضع ثقته ليحاول اقناعه بضرورة استلام القيادة من جديد، وقد وجده خوجة محطم المعنويات منكسر القلب، واقنعه بصعوبة كبيرة بضرورة الاستمرار في مهمته، ولكن الاغا الذي كان طفلا في تصرفاته لم يستطع ان يواصل مهمته، فعندما تقدم الجيش الفرنسي من اسطاوالي مارا بمعسكر سيدي خلف اختفى ابراهيم من جديد[5].

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 43.

2- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص ص 388-389.

3- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 53.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 158.

5- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 43.

4-اسباب الهزيمة:

أ- فساد واستبداد الفئة الحاكمة التركية ومساهمتها الفعالة في تعطيل كافة الطاقات الحية الجزائرية.

ب-فساد الداي حسين 1818-1830 واستبداده يتجلى ذلك في ارتشائه وحبه للهدايا وبنائه حارة للزنا الدعارة بالعاصمة.

ت-اسناد القيادة العامة لصهر الداي الظالم المترف ابراهيم اغا وقد ارتكب ذلك القائد اخطاء قاتلة.

ث-اختلال ميزان القوة المادية والبشرية والتنظيمية لصالح الفرنسيين فقد ضمت الحملة الغازية نحو 37 الفا من القوات عالية التدريب والخبرة والانضباط، بينما لم يتجاوز عدد القوات الموجودة في معسكر سطاوالي صبيحة المعركة 30000 رجل فقط يفتقرون للتدريب والانضباط.

ج-اعراض الاغا ابراهيم عن خطة احمد باي التي نصت على اطالة امد الحرب بعرقلة الانزال الفرنسي[1].

5-نتائج المعركة:

خلفت معركة اسطاوالي اثارا سيئة على الجزائر الارض والشعب، ذلك ان الاستعدادات لمواجهة الحملة كانت في الواقع هشة وضعيفة مقبلة بما كانت عليه حالة الجيش الفرنسي المعزز بالعنصر المادي والبشري تعزيزا كافيا ومنظما وعليه انسحب الاغا ابراهيم خائبا يائسا بعدما اظهر ضعفا واضحا في مجال الدراية بشؤون الحرب وفنونها عكس الاغا يحيى في حين اصيب الجزائريون بحالة من الذهول وقد اصيب منهم الكثير وقتل بعضهم الى ان انتهى الجيش الفرنسي من الاستيلاء على المراكز الحصينة الاستراتيجية بما في ذلك قصر الداي الذي

1- بشير بلاح، المرجع السابق، ص ص 55-56.

اجبر على توقيع معاهدة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830، وتسجل الجزائر بموجب ذلك عهدا جديدا سوف تتحمل اعباءه ومعاناته اجيال متعاقبة.

- **نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر:**

1- وعود فرنسا للجزائريين ونكثها:

انه لمن الواضح ان اعيان مدينة الجزائر قد قبلوا بفكرة التفاوض مع الفرنسيين وتسليم مدينة الجزائر اليهم بدون مقاومة وذلك لقناعتهم ان الفرنسيين ينتمون الى امة متحضرة وانهم جاؤوا لكي يحرروا الجزائر من الهيمنة التركية. كما ان اعيان مدينة الجزائر قد اكدوا في احاديثهم اليومية يوم تعرضت مدينة الجزائر الى هجوم الفرنسيين بان امة شريفة مثل فرنسا لا تنكث بعهودها، وان حكم البلاد سيكون وفقا لمبادئ الحكومة الفرنسية، واعتقدوا بان "عماد الحضارة هي حقوق الانسان، ولذلك فاننا لا نخشى من امة متحضرة"، وعندما غادر الداي منزله بالقصبة وانتقل الى منزله الخاص، قام قائد الحملة الفرنسية بورمون بطمانة اعيان الجزائر واعطائهم انطباعا بان الجيش الفرنسي لن يبقى في الجزائر اكثر من ستة اشهر، واكد بان هذه هي نية الحكومة، وبانه عندما يشرع في الجلاء فانه "سيترك البلاد بين ايدي اعيانها وتحت تصرفهم، وكان يقول كذلك ان الجزائر كانت من ممتلكات الباب العالي"، وقد احاط بعض الناس الذين كانوا يطمحون في الوصول الى الحكم بالمرشال بورمون، وتقربوا اليه واظهروا له اخلاصا لا حدود له لمواصلة مشاريعهم الجنونية املين انهم سيخلفون الفرنسيين فيما بعد.[1]

ولقد قام المارشال دوبرمون والداي حسين بإبرام معاهدة استسلام، ولقد جاء في هذه المعاهدة التي حررها قائد الحملة دوبورمون ما يلي:

ـــــــ «يسلم حصن القصبة، وكل الحصون التابعة للجزائر، وميناء هذه المدينة الى الجيش الفرنسي صباح اليوم على الساعة العاشرة (بالتوقيت الفرنسي).

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص ص 100-101.

– يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو، داي الجزائر، بترك الحرية له، وحيازة كل ثرواته الشخصية.

– سيكون داي الجزائر حرا في ان ينصرف هو واسرته وثرواته الخاصة الى المكان الذي يعنيه، ومهما بقي في الجزائر سيكون تحت حماية القائد العام الفرنسي، وسيتولى حرس ضمان امنه الشخصي وامن اسرته.

ـ يضمن القائد العام لجميع جند الإنكشارية نفس الامتيازات ونفس الحماية.

– ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، ولن يلحق اي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم، ولا تجارتهم وصناعتهم، وستكون نساؤهم محل احترام.

والقائد العام يلتزم على ذلك بشرفه.

وسيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة، وستدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا الى القصبة، ثم تدخل بالتتابع كل حصون المدينة والبحرية.»[1]

ما كاد ينقضي على اخذ العهود والمواثيق المؤكدة من فرنسا على تامين السكان وتطمينهم على ديانتهم واموالهم وحريتهم الشخصية وحول تجارتهم وصناعتهم مدة شهرين فقط حتى اخذت فرنسا في نقض ما ابرمته مع الحكومة الجزائرية، فبذات بالنهب والسلب والقمع وانتهاك الحرمات بين الناس ولا سيما فيما يختص بالمادة الخامسة المتعلقة بالمؤسسات الدينية والشريعة الاسلامية والاوقاف كما جاء في المعاهدة فإنما اصبحت كلها منقوضة واضحة، جميع موادها غير محترمة.[2]

لكن اعيان الجزائر الذين كانوا يشكلون طبقة غنية منحدرة من اهل البلاد ومن مهاجري الاندلس قد خاب املهم في الفرنسيين حين ادركوا ان فرنسا جاءت لتبقى وان اموالهم واراضيهم صودرت واصبحت ملكا للدولة الجديدة، وان مساجدهم وزواياهم قد احتلت من طرف الجيش

1– عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1948، ص 69.

2– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 415.

الفرنسي او تحولت الى كنائس وقد اندهشوا حين اكتشفوا ان السلطات الفرنسية تعطي عهد الامان وتنقضه، وتقوم بعزل وطرد ونفي اولئك الذين قبلوا التعاون مع فرنسا بدعوى عدم القيام بالواجب، او التآمر لاستعادة الحكم الاسلامي او الانضمام الى الثائرين ضدها، وبطبيعة الحال لم تكن لهم قوة كافية لمجابهة الفرنسيين او وسائل للضغط عليهم وبالتالي استطاع الفرنسيون ان يشتتوهم بالنفي والمحاكمات وتسليط الطائفة اليهودية عليهم[1].

وقد عملت فرنسا على ابادة الجزائريين وتشريحهم منذ ظهرت استحالة فرنستهم، ويلقى هذا التقرير الضوء على هذه السياسة:« نلقى الجند امرا من القائد العام الجنرال "روفيفو" بالخروج من مدينة الجزائر ليلة 26 افريل 1832م ففاجا بهم قبيلة "العوفية" عند الفجر وهي نائمة تحت خيامها وامعن في ذبح اولئك المساكين الذين لم يستطع اي واحد منهم الدفاع عن نفسه، وهكذا وقع قتل كل نفس حية في القبيلة دون اي تمييز بين جنس وسن، وعند الرجوع من هذه الحملة المحجلة كان الفرسان الفرنسيون يحملون رؤوس القتلى على اسنة الرماح، ويقول الجنرال شانقاونيي: لقد كانت التسلية الوحيدة التي استطيع ان اسمح بها للجند اثناء الشتاء هي السماح لهم بغزو القبائل المعادية التي تسكن فيما بين "وادي الحراش" و "بورقيقة"، ويقول المؤرخ "دبو زايد" عن ذلك ما نصه: **اما الغنيمة من الحيوان فقد بيعت الى ممثل قنصلية الدانمرك، واما بقية الغنائم الصامتة فقد عرضت للبيع في سوق "باب عزون" وكان من بين الغنائم اساور نساء وهي لا تزال في ايديهن المقطوعة، واقراط نساء لا تزال تلتصق بها قطع اذانهن ثم وزع ثمن كل ذلك على السفاكين من رجال القطعات الفرنسية وفي ذلك اليوم اصدرت السلطة امرها لسكان الجزائر المسلمين، بان يضيئوا ليلا حوانيتهم اظهارا لسرورهم بذلك الانتصار.**[2]

2- الاستيلاء على الممتلكات والاوقاف ونهب الخزينة:

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق،ص 101.

2- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993، ص131.

ويعترف الفرنسيون بما قام به الجيش حينما دخل مدينة الجزائر، فالجنرال دو لاموريسيير المعروف بتدنيه يقول: حللنا بمدينة الجزائر فاتخذنا من المدارس مخازن وثكنات واصطبلات، واستحوذنا على املاك المساجد والمدارس، وكنا نظن اننا سنعلم الشعب العربي، مبادئ الثورة الفرنسية ولكن مع الاسف ان المسلمين راوا في ذلك ضربة للدين والعقيدة. اما حمدان بن عثمان خوجة الذي عاش وشاهد تصرفات الفرنسيين فقد وصف وقع الحكم الفرنسي على الجزائر بما يلي: «ان السلطة استولت على مساجدنا ومعابدنا ولم يبق من هذه الاماكن سوى الربع»[1]، وقد ذكر مؤرخ الجيش الفرنسي في الجزائر بول ازان واصفا حالة هذا الجيش خلال شهر جويلية 1830، ان الجنود ارتبكوا اعمالا تخريبية حول مدينة الجزائر، فخربوا الفيلات (الاحواش) وقطعوا اشجار الحدائق وخلعوا اعمدة المنازل لإيقاد النار، وثقبوا انابيب المياه لملء اوانيهم منها، وهدموا سواقي المياه لكي يسقوا حيواناتهم، وتسببوا في تفجير مخزن للبارود، مما ادى الى عدة جرحى، ولم يحافظوا حتى على صحتهم ونظافتهم، وقد كثر المرض فيهم حتى ان المتصرف (دينييه) اعلن يوم 24 جويلية ان المستشفيات قد دخلها الفان وخمسمائة مريض وانها لم تعد كافية لاستقبال المرضى.[2]

وقد قامت السلطات الفرنسية سنة 1830 في مدينة الجزائر بإغلاق 13 مسجدا كبيرا و108 صغيرا و32 جامعا و12 زاوية وتم تحويل العديد من المساجد الى اسطبل ومستودعات ومستشفيات عسكرية وكنائس ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حوله الجنرال دي روفيغو سنة 1832 الى كنيسة فنصب الصليب وعلم فرنسا على الصومعة بمباركة البابا غريغوار رغم معارضة المفتين والسكان الذين سقط العديد منهم قتلى دفاعا عن المسجد.[3]

1- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1971، دحلب، ص21.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص25.

3- عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، 2002 ص124.

واستحوذت الادارة الفرنسية على ممتلكات الحبوس والبايلك وذلك بعد شهرين من اتفاقية 4 جويلية[1]1830، عن طريق مرسوم مؤرخ في 8 سبتمبر على بعض الممتلكات خاصة منها ممتلكات الحبوس وذلك بقرار كلوزيل الذي امر بحجز املاك العثمانيين المتضمنة املاك الاتراك واملاك البايلك والاوقاف الاسلامية (الحبوس) منتهكا البند الخامس من معاهدة تسليم الجزائر الذي نص على عدم التعرض للاوقاف لكنه تراجع عن حجز الاوقاف تحت ضغط احتجاجات الجزائريين مؤقتا فكونت فرنسا من املاك العثمانيين مصلحة املاك الدولة وكذلك اصدار قرار 7 ديسمبر 1830م وهو مكمل للقرار السابق ونص على ضم كافة الاوقاف الاسلامية التي شملت(اوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا وسبل الخيرات واوقاف الاندلس والطرق والمياه والانكشارية) الى قطاع املاك الدولة.[2]

وجاءت هذه المصادرات مصُاحبة بنتائج كثيرة منها تدمير المحاصيل وانخفاضها وتخريب الحدائق وخطوط الهدروليك الحاملة للمياه الضرورية للري وهذا التدمير ينطبق ايضا على المناطق الجبلية التي تميزت دائما بالأشجار المثمرة الكثيفة والمتنوعة مثل منطقة بني مناصر ناحية شرشال والونشريس، وبهذا يكون الانخفاض في الانتاج وبداية تفكيك الريف الجزائري وارتفاع الاسعار.[3]

وقد عملت فرنسا على محاربة والاستيلاء على الاوقاف الاسلامية باعتبارها الراعي والممون الرئيسي للنشاطات الدينية والتعليمية وفي نفس الوقت تشكل عائقا كبيرا في وجه المخطط الاستعماري وهذا ما دفع احد الكتاب الفرنسيين الى القول "بان الاوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر".[4] وقد امر القائد العام بمصادرة ممتلكات الاتراك واراضي الاوقاف، وسرع القائد "روفيجو"

---

1 – Mahfoud Kaddacke Djillali Sari l'Algerie péremité et resistances (1830 –1962) officedespublications universitaires Alger 2002 P158.

2– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 158.

3– Djilali Sari la dépossession Des Fellahs (1830–1962) Enag Editions Alger 2010 P17.

4– عمورةعمار، موجز تاريخ الجزائر،المرجع السابق، ص124.

فامر بتحويل اجمل مسجد في مدينة الجزائر الى كنيسة، وقام الجنود الفرنسيين باقتحام المسجد على حين كان في داخله اربعة الاف مسلم، واعملوا فيه القتل بالحراب وهم يؤدون الصلاة داخل المسجد الذي لم يلبث ان تحول الى "كاتدرائية الجزائر".[1]

لقد اخل العديد من الضباط الفرنسيين بالكلمة التي اعطاها المارشال دوبرمون فيما يخص احترام الاشخاص والممتلكات، فقد استولى الفرنسيين على الكنز الجزائري المقدر ب 51.700.000 فرنك ذهبي وطردوا 1300 انكشاري اعزب وابتداء من جويلية 1500 من اعضاء الميليشيات المتزوجين وعائلاتهم الجزائرية[2].

وقد ذكرت المصادر الفرنسية ان الخزناجي (وزير المالية) في حكومة الداي حسين باشا قد انتظر بورمون عند باب الخزينة ليسلمه مفاتيحها بنفسه، وعندئذ وقع الاستيلاء عليها وعدها ونهبها، فاذا هي على النحو التالي:

قدر الفرنسيون رسميا قيمة الخزينة: 55.684.527 فرنك، موزعة على النحو التالي:

ذهب وفضة وجواهر: 48.684.527 ف.

صوف وبضائع اخرى: 3.000.000 ف.

قيمة مدافع ارسلت الى فرنسا: 4.000.000 ف.

اما الحسابات التي اجراها الخاصة الغير رسمية للخزينة فقد اثبتت ان قيمتها: 400.000.000 ف.[3]

ونستخلص من بعض الوثائق ان ضباط الحملة الفرنسية قد اختلسوا لانفسهم ما قيمته 50 مليون فرنك فرنسي واكتفوا بتسليم ما يعادل ذلك للحكومة الفرنسية، وقد ارسلت هذه الاموال

1- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 89.

2- محفوظ قداش، تر، محمد عراجي، جزائر الجزائريين، منشورات anep، 2008، الجزائر، ص27.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 24.

والثروات الجزائرية في صناديق خاصة الى فرنسا على ظهر 5 بوخر فرنسية، وتبلغ قيمة المبلغ الاجمالي لهذه المسروقات 4.868.794.452 فرنكا فرنسيا.[1]

3- الحاق الجزائر بفرنسا وبداية الاستيطان:

واعلنت فرنسا ان الجزائر قطعة طبيعية من فرنسا، وان المنطقة الشاطئية جزء لا يتجزأ من فرنسا، وخضّعت العلم للسياسة، فاعلن العلماء الجيولوجيين الفرنسيون ان الشمال الافريقي كان منذ القدم متصلا بالساحل الجنوبي لفرنسا في سلسلة جبال واحدة تصدعت في العصور الجيولوجية القديمة، فكان مضيق جبل طارق، ومضيق مسنا، وزادت مبالغة الفرنسيين فاعلن ساستهم ان الشمال الافريقي الزم لفرنسا من الناحية الاجتماعية والعمرانية من سهول نورماندي بشمالي فرنسا نفسها، وبناء على ذلك فقد عينت فرنسا المقيم العام حاكما على الجزائر وهو مسؤول عن جميع الادارات الحكومية التي يدير كل منها فرنسي ايضا ويباشر العمل فيها مئات من الموظفين الفرنسيين وتنقسم الجزائر الى ثلاث مديريات فرنسية: قسنطينة، الجزائر، ووهران.[2]

ولعل الشيء الذي زاد الوضع خطورة هو ان قادة الجيش الفرنسي وكبار رجال الاعمال او التجار قد قرروا انتهاج سياسة احتلال الجزائر وتجريد الجزائريين من اراضيهم، وقد قام بهذه العملية الجنرال "كلوزيل" وهو اول جنرال يعين حاكما عاما للجزائر، من شهر سبتمبر 1830 الى غاية فبراير 1831، ففي هذه الفترة تقرر ان يتم تنحية باي التيطري، واقترح على باي تونس ان يعين احد اشقائه بايا على وهران واخر يعين بايا على قسنطينة وبذلك يتعاون معه باي تونس على التخلص من اية مقاومة جزائرية في شرق البلاد او غربها، كما قام الحاكم العام بمحاولة مع التجار والفلاحين الفرنسيين لإقناعهم بالقدوم الى الجزائر والاستيلاء على الارض وزرع العنب فيها والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية، وعندما باءت هذه المحاولة بالفشل، قرر ان ينتهج سياسة الاستيلاء على الاراضي الجزائرية الخصبة وتسليمها للمهاجرين الاوربيين وبذلك تجد الحكومة

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص 102

2- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، المرجع السابق، ص128.

الفرنسية نفسها مضطرة لاحتلال الجزائر بصفة نهائية وتقديم المساعدة المالية للمستوطنين الفرنسيين بالأرض المحتلة في الجزائر[1]، كما ساهم كل من العسكريين ورجال الدين على حد سواء في عملية ارساء قواعد الاستيطان الفرنسي في الجزائر وذلك لخلق مجتمع اوروبي مسيحي يرتبط بقوة شديدة بالأرض الزراعية وبهذا كان العسكريون محورا أساسيا في عملية الاستيطان واداته الاكثر فعالية، فهم الذين قاموا بالدور الاقتصادي والعسكري في تحضير الاراضي الزراعية وتهيئتها للكولون المدنيين.[2]

وقد عمل كل من العقيد "ديلاموريير" والعقيد "بيدو" على انشاء مراكز استيطانية كبرى تجمع الفلاحين الاوروبيين في الجزائر، ويعد المركز الاستيطاني هو رمز للحضور الاوروبي والوجود الاستعماري في الجزائر وإنشاء مركز استيطاني يتم بمقتضى قرار موقع من طرف الحاكم العام للجزائر، وتذكر المصادر التاريخية ان في سنة 1832 وصلت الى ميناء الجزائر سفينة محملة ب 400 مهاجر الماني وسويسري وقسمت هذه العائلات على مناطق مختلفة في مدينة الجزائر حيث منحت لهم اراضي زراعية.[3]

وبهذا تكون رغبة فرنسا القاطعة في استيطان الجزائر يؤكدها صدور مرسوم 22 جويلية 1834 وهو القانون الذي الحق الجزائر بفرنسا واعتبرت الجزائر قطعة منها وشجع الهجرة وطمان المستوطنين على البقاء في الجزائر وعين حاكما عاما على الجزائر وهو الجنرال الكونت Derlan الذي اكد بدوره للكولون على تاييد فرنسا المعنوي والمادي لهم وبناء على توصية اللجنة الافريقية.[4]

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي،المرجع السابق، ص 103.

2- بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأراضي إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، 2008، ص43.

3- الطاهر بن خلف الله، "التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري 1830-1962"، الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، العدد2، ربيع 1995، ص 142.

4- أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص51.

وفي سنة 1837 عرضت الادارة الفرنسية اراضي للبيع بسعر يقارب 48 فرنك للهكتار الواحد، كما سمحت ببيع الاراضي بالتراضي حيث حصل عن طريق هذا الاسلوب بعض المهاجرين على اكثر من 4500هكتار خلال هذه السنة[1]، وقد اصبح الجزائريين خماسين عند الاوروبيين غرباء في بلادهم لا يتمتعون بأبسط الحقوق، ففي 1842 منحت للاوروبيين 105000 هكتار من اخصب الاراضي الفلاحية وقامت بمصادرة 60000 هكتار من اراضي متيجة لسبب عدم تقديم اصحابها الوثائق التي تثبت ملكيتهم لها في الوقت المناسب، واسس الجنرال كلوزيل احد اكبر مشجعي الاستيطان في الجزائر شركة فلاحية سماها "المزرعة التجريبية لافريقيا" وسمح للعسكر الاكتتاب فيها كما استولى على الاملاك القريبة من بابا علي وعلى مزرعة حوش حسن باشا القريبة من واد الحراش والتي بلغت مساحتها 1000 هكتار، وقال للاوروبيين سنة 1835م " لكم ان تنشئوا من المزارع ما تشاؤون ولكم ان تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها وكونوا على يقين باننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة وبالصبر والمثابرة وسوف يعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد باسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الاطلسي واستقر في امريكا منذ بضعة قرون"[2].

فكر "ديلاموريسيار" في ان يطبق مشروعه في اقليم وهران داخل المثلث المحصور بين وهران ومستغانم ومعسكر وذلك بتوطين خمسة الاف عائلة فلاحية توزع على 22 بلدية فوق اراضي تقدر مساحتها بـ 80.000 هكتار تسند فيها مهمة الاستيطان الى رأسماليين يتحملون كل النفقات باستثناء الطرقات والحصون والمرافق العمومية ومن بين المهام الموكلة اليهم انتزاع الاراضي الزراعية من الفلاحين الجزائريين عن طريق المقايضة وعن طريق شرائها منهم بأسعار زهيدة او طردهم منها بطريقة لا تثير احساسهم بالطرد وقد طلب لاموريسيار من الحكومة الفرنسية

1- رحيم محياوي، دراسة مستقبلية الاستيطان والتوطين للاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، منشورات جامعة باجي مختا ر،عنابة، 2006،ص24.

2- عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائ ر،المرجع السابق، ص118.

قروضـــا مالية لا تقل عن 200.000 فرنك لتثبيت 2332 عائلة اوروبية ودعا الحكومة الى تهيئة المواقع وتحديد الطرق والمســاحات العمومية وحفر الابار وبناء الاحواض المائية والســدود لســقي الاراضي الزراعية.[1]

ولإفقار السـكان التجأت السـلطات الاسـتعمارية الى سـياسـة اخرى للسـيطرة على مزيد من الاراضي، هذا كان مصير الاراضي التي سلبت من الجزائريين هو تسليمها للمعمرين اما الاراضي التي بقيت في ايدي الجزائريين فاســتعملت ســياســة اخرى لتدميرها، من خلال خطاب بيجو امام البرلمان ســـنة 1837 والذي جاء فيه « **حرق المحاصـــيل وقت الحصـــاد له تأثير كبير على العرب... فالعرب لا يستطيعون الهرب الى الاراضـي القاحلة و ان هربوا فان هربهم مؤقت...وفي الاخير سـيضـطرون للخضـوع** »، وايد بيجو الاحتلال الشـامل الذي كان يعني حرق المحاصـيل والبحث عن المطامير واغراقها، وتدمير الاكواخ واشجار الزيتون والتين وغلات اخرى.[2]

1- بن داهة عدة، المرجع السابق، ص ص 44-45.

2- محمد عيساوي، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص ص 90-91.

- **الخاتمة:**

نستخلص من الحملة الفرنسية على الجزائر النتائج التالية:

- كانت الظروف السيئة التي عاشتها فرنسا بعد انهار الإمبراطورية ورجوع النظام الملكي وانهزام القوات الفرنسية في أوروبا، جعلتها تواجه أنظارها إلى الجزائر وكذا معاناة فرنسا من أزمة البطالة، ورغبتها في امتلاك أراضي جديدة تعوضها عما فقدته أثناء الثورة وحكم نابيلون، ومحاولة نشر المسيحية في إفريقيا، حيث تمكنت الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال دي بورمون من الدخول إلى الجزائر واحتلالها، وتم توقيع معاهدة الاستسلام مع الداي حسين.
- لقد تميزت العلاقات الفرنسية الجزائرية بعدم ثبات والاستقرار فكانت تارة تتميز بالود والصداقة وتارة يغلب عليها طابع التوتر والاضطراب.
- لقد كانت الرسالة الحضارية التي ادّعت فرنسا حملها إلى الجزائريين في حقيقة الأمر إلا سرابًا وأوهامًا ما لبث و إن انكشف زيفها مع أولى الأعمال الإجرامية التي أعقبت الاحتلال مباشرة.
- أدت الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م إلى حدوث تأثيرات سلبية على المجتمع الجزائري في مختلف الأصعدة كطمس معالم السياسية الداخلية التي انتهجها العثمانيون خلال تواجدهم بالجزائر، واستبدالها بسياسة تتماشى مع مصالح فرنسا، هذه الأخيرة التي أرت مصلحتها في خلاف ما تعهدت به، بداية من بيان دي بورمون مروار بمعاهدة الاستسلام.
- لقد ترتب عن هذه الحملة مجموعة من النتائج على جميع الأصعدة حيث تمكن الجيش الفرنسي من الاستيلاء على خزينة الحكومة الجزائرية ومصادرة الأراضي والأوقاف الجزائرية، وتفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائر ي، والاعتداء على المساجد وتحويلها إلى كنائس، وحاول أيضا القضاء على اللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية، وقامت السلطات الفرنسية بإبادة الشعب الجزائري، عن طريق التهجير والمجاعة والقتل الجماعي ضد كل من يحاول مقاومته من الجزائريين وحتى يسهل عليها بعدها تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في تسيير شؤون البلاد، بما يخدم مصالحها والتحكم في خيرات وثروات البلاد.

الببيلوغرافيا

- **قائمة المصادر بالعربية:**

1. أجيرون شـارل روبير : تاريخ الجزائر المعاصـرة من انتفاضـة 1871 إلى حرب التحرير 1954، تر: جمال فاطمي و آخرون، مج 2، ط1، الجزائر، شركة الأمة، 2008.
2. جوليان شارل أندري: افريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم و آخرون، دط، تونس: دن،1976 م.
3. جوليان شـارل أندريه: تاريخ الجزائر المعاصـرة الغزو وبدايات الاسـتعمار 1827-1871م، تر: جمال فاطمي وآخرون، مج1، ط1، الجزائر: شركة دار الأمة، دت.
4. خوجـا حمـدان بن عثمـان: المرآة،تق وتع وتح : محمـد العربي الزبيري، (دط، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1975.
5. دوطوكفيل ألكسـي: نصـوص عن الجزائر وفلسـفة الاحتلال والاسـتيطان، تر: ابراهيم صـحراوي، دط، الجزائر، د م ج، 2008 .
6. دوكتون بولفينيه: مجد السيف، تر ميشال سطوف، تو: عبد العزيز بوتفليقة، دط، الجزائر: منشورات ANEP، 2006 .
7. سـيزير إميه: خطاب حول الإسـتدمار، تر: ميشـيل سـطوف، تو: عبدالعزيز بوتفليقة دط، الجزائر: منشورات ANEPالرويبة، 2007.
8. العنيتري صـالح : مجاعات قسـنطينة، تق، تح .رابح بونار، د.ط، الجزائر: الشـركة الوطنية للنشـر و التوزيع 1394هـ-1974م .
9. لوكور غرانميزون أوليفي: الاسـتعمار الابادة، تأملات في الحرب والدولة الاسـتعمارية، تر: نورة بوزيدة، ط.خ، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007.
10. لوكور غرانميزون أوليفي: الجمهورية الإمبراطورية في سياسـة الدولة العنصـرية تر: مسـعود حاج مسعود، ط خ و م، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2009.
11. مسـبيرو فرنسـوا: سـات أرنو أو الشـرف الضـائع، تر: أحمد بلكي، ط.خ.م.ج،دط: الجزائر، دار القصبة للنشر، 2005م .

12. الورتلاني الفضيل : الجزائر الثائرة، دط: الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،2007.

قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

13. AGERON CHARLE ROBIRT : genèse de Algérie Algérienne : (ALGER : ARCHIVE D'IMPRIMER SURE LE PRESSES, 2010).

14. AGERON CHARLE ROBIRT: HISTOIRE DE ALGERIE CONTEMPORAINE: (PARIS, P.U.F, 1974) .

15. AGERON CHARLES ROBART LES ALEGIENS MUSLUMANSET LA FANCE 1871-1954 ،(PARIS ،P.U.F ،1968)

16. ANDREE CHARLES JULIEN: HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE "1827-1870" ,(PARIS : P.U.F, 1964).

- **قائمة المراجع بالعربية:**

17. أ.ج جزانت، هارولد تمبرلي : أوربا في القرنين التاسع عشر و العشرين (1789-1950)، تر: بهاء فهمي، ط6 منقحة، د م ن، مؤسسة سجل الحرب، د ت.

18. أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 إلى 1855، دط، الجزائر، م و ك، 1989م .

19. برون جفري: تاريخ أوربا الحديث، تر: علي المرزوقي، (دط، عمان، بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع، 2006م)،

20. بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري (ط1، لبنان: دار النفائس، 1402هـ -1982م.

21. بسايح بوعلام: من لويس فليب إلى نابليون الثالث الامير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا، تع : خليل أحمد خليل، (مج1، ط.خ.و.م: الجزائر م.و.ن 2010م).

22. بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989م، ج1، دط، الجزائر: دار المعرفة، 2006.

23. بن داهة عودة: الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، ج1،دط.خ.و.م، د ن، د م، دت.

24. بوحوش عمار : العمال الجزائريين وفرنسا" دراسة تحليلية "، ط خ و م، دط، الجزائر: د ن، 2008م.

25. ----------: تاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط3، الجزائر: دار البصائر، 2008م

26. بوضرساية بوعزة: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية خلال ق19م، س.م.و.ب، ط.خ.و.م، دط، الجزائر: م.م.و.د.ب، 2007م

27. بوعزيز يحي: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، ط خ، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م .

28. ----------موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دط، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 م.

29. ----------: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية من 1830 الى 1954، (ط.خ، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007،)، ص7.

30. بوعماره تركي رابح :الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، (ط2 منقحة ومزيدة الجزائر: نوفم للنشر و التوزيع، 2013).

31. تاوتي الصديق: المبعدون الى كاليدونيا الجديدة" مأساة هوية منفية"، ط.خ.و.م، ط1، الجزائر: دار الامة، 2007م.

32. التميمي عبد المالك خلف: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية ومقارنة، دط، دم: عالم المعرفة، 1978.

33. تيزان ايفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، ترجمة محمد عبد الكريم اوزغلة، د ط، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2007م.

34. الجيلالي صاري : الكارثة الديمغرافية(1867 – 1868م)، تر: عمر المعراجي، ط.خ.و.م، الجزائر: منشورات ANEP، 2008م .

35. الجيلالي عبدالرحمان : تا ريخ الجزائر العام،ج4،دط، لبنان: دار الثقافة 1400هـ-1980م.

36. حسين بوزاهر: العدالة القمعية في الجزائر المستعمرة (1830- 1962م)، ط .خ.و.م، دط، الجزائر: دار الهومة، 2011م.

37. حسينة حماميد: المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962م، (دط، الجزائر:

38. خرفي صالح : الجزائر والأصالة الثورية، دط، الجزائر: ش. و. ن. ت، دت.

39. الخطيب أحمد: حزب الشعب الجزائري، ج1، دط، الجزائر: م.و. ك، 1986م.

40. دبوز محمد علي: نهضـــة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، دط، الجزائر: ســـحب الطباعة الشعبية للجيش، 2007م.

41. دســوقي ناهد ابراهيم: دراســات في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصــر، دط: مصــر: دار المعرفة الجامعية،2011م.

42. رزاقي عبد الرحمان: تجارة الجزائر الخارجية، صـادرات الجزائر فيما بين الحربين العالمتين، د ط، الجزائر، ش.و.ن.ت، د ت.

43. ركيبي عبد الله: الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، ج1، دط، الجزائر: دار الحكمة، م و إ ن، 2010 م.

44. زوزر عبد الحميد: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م، دط، الجزائر: د.م.ج، 2010 م

45. سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2،ط خ، الجزائر،:دار البصائر، 2007م.

46. ســـعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دط، الجزائر: دار الهومة للطباعة والترجمة و النشر و التوزيع، د ت.

47. ســعيد بوزيان: شــخصــيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م)، ج1، ط2، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر، 2004م.

48. شـــبخي عبد المجيد: أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830 – 1962 م)، ط.خ.و.م، الجزائر : م.و.د.ب، 2007م .

49. صـــاري جيلالي: تجريد الفلاحين من أراضـــيهم 1830 -1962م، تر: قندوز عباد فوزية، ط.خ.و.م، دط، الجزائر: م م و ب، **2010م**.

50. صــالح صــديق محمد: الجزائر بلد التحدي و الصــمود، د ط، الجزائر : موفم للنشــر والتوزيع، 2009م.

51. صـالح عباد: المعمرون والسـياسـة الفرنسـية في الجزائر 1870- 1900، دط، الجزائر: د.م.ج، دت.

52. الطمار محمد: روابط الثقافية بين الجزائر والخارج، دط، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1983م.

53. عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، مج، ط.خ. و. م: الجزائر،2010م.

54. ---------: نصـوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصـر 1830-1900 (ط خ، الجزائر: د.م.ج، 2008).

55. عبد القادر حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية (دط، الجزائر: دار المعرفة، 2007).

56. العسلي بسام: المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830-1835،(دط، الجزائر لبنان، دار الرائد، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، 1431هـ، 2010م

57. عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أروبا الحديث والمعاصر (1815 - 1919م)، دط مصر : دار المعرفة الجامعية، 2000م .

58. عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، د ط، الجزائر: دار المعرفة، 2006م.

59. عميراوي حميدة وآخرون : آثار السـياسـة الاسـتعمارية و الاسـتيطانية في المجتمع الجزائر : 1830 – 1954م، س.م.و.ب، ، ط.خ.م.و، الجزائر، م.و.ب،2007 م.

60. عميراوي حميدة: جوانب من السـياسـة الفرنسـية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشـرق الجزائري (بداية الاحتلال)، (ط1، الجزائر، دار البعث للطباعة و النشر 1405 / 1984م.

61. عيسـاوي محمد، شـيخي نبيل: الجرائم الفرنسـية في الجزائر اثناء الحكم العسـكري 1830-1871م، د ط، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011م

62. عيسى شنوف : يهود الجزائر2000سنة من الوجود، دط، الجزائر:دار المعرفة، 2000م.

63. غربي الغـالي: العـدوان الفرنسـي على الجزائر- الخلفيـات والابعـاد، س.م.و.ب ط خ، الجزائر:م.م.و.ب،2007م

64. قنان جمال : التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاسـتعمار، ط. خ. و. م، الجزائر: م. و. ب، 2007م.

65. ----------: قضـايـا ودراسـات فـي تـاريـخ الـجـزائـر، دط، الـجـزائـر: م.م.و.م،م.و.ا.ن،1994م.

66. ----------: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914م، مج3، ط.خ.و.م، دط، الجزائر، م.و.م، 2009م.

67. كاتب كمال: أوربيين أهالي ويهود بالجزائر 1830 -1962م، **تر** : رمضـان زيدي، ط.خ.و.م، دط، الجزائر:دار المعرفة، 2011م .

68. الهواري عدي: الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكك الاقتصادي و الاجتماعي 1830-1960م، تر: جوزيف عبد الله، ط1، لبنان: دار الحداثة، 1983م.

69. ولد خليفة محمد العربي: الاحتلال الاســـتيطاني للجزائر، ط.خ.و. م، ط2، الجزائر منشـــورات ثالثة، 2008م.

- **قائمة المراجع باللغة الأجنبية**

70. BOUZAHER HOCINE: LA JUSTICU REPRESSIVE DANS L'ALGÉRIE COLONIALE "1830 – 1962" ، , ALGER: EDITION HOUMA , 2007

71. KADDACHE MAHFOUD: L'ALGERIE DES L'ALGERIENS "HISTOIRE DE ALGERIE 1830 -1954",(EDITION ROCHE NOIRE, 1998.

72. SARI DJILALI – LA DEPOSSESSION DES FELLAHS, (ALGER: S. N.E.D , 1975).

المحتويات

واقع الجزائر قبيل الحملة الفرسية:.....3

الواقع السياسي:.....3

ا- داخليا :.....3

ب- خارجيا:.....6

ثانيا: الواقع العسكري.....9

ثالثا: الواقع الاقتصادي: 11

رابعا : الواقع الاجتماعي.....16

خامسا: الواقع الثقافي.....18

1-العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرنين 15و16 م :.....19

2 – العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17 و18:.....22

3- العلاقات منذ العهد الامبراطوري الى غاية 1830:.....24

ا – العلاقات ما قبل مؤتمر فينا 1815:.....24

ب- العلاقات بعد 1815 الى 1830.....28

مشاريع الاحتلال الفرنس ي للجزائر:.....32

دوافع الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر 44

1-دور شركة بكري و بوشناق في التجارة الخارجية الجزائرية:.....45

- مطالبة الجزائر فرنسا بالديون :.....54

-علاقة الديون بحادثة المروحة واحتلال الجزائر 1830م.....62

سير الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر:.....67

- ردود الفعل الجزائرية على الحملة الفرنسية..... 72
1- نزول الجيش الفرنسي واستعداداته للمعركة:..... 72
2-استعدادات الجزائريين للمعركة:..... 74
3- معركة اسطاوالي:..... 79
4- اسباب الهزيمة:..... 82
5- نتائج المعركة:..... 82
-نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر:..... 83
-1وعود فرنسا للجزائريين ونكثها:..... 83
2-الاستيلاء على الممتلكات والاوقاف ونهب الخزينة:..... 85
-3الحاق الجزائر بفرنسا وبداية الاستيطان:..... 89
البيبلوغرافيا..... 94